هالة البدري

منشورات الاتحاد العام للجمعيات الفلاحية التعاونية - القطر العراقي



فلاح مصري في ارض العراق

زياد فليفل

هالة البدري

فلاح مصر في ارض العراق



منشورات الاتحاد العام للجمعيات الفلاحية التعاونية في القطر العراقي



الرئيس القائد صدام حسين

إهداء

إلى أهل قريتي « السنطة » وفاء ومودة.

هالة

« الفلاح المصري في العراق ليس مهاجراً، وإنما هو مواطن تغير محل اقامته، وسيحتضن حوض دجلة والفرات ابناء النيل بكل الحب الذي نحمله للنيل ذاته ».

الرئيس صدام حسين »

كلمة

في نهاية ابريل ١٩٧٧ صدر كتابي الاول حكايات من الخالصة يسجل عاماً من تجربة الفلاح المصري في العراق..

واستقبل الكتاب بترحاب.. إذ كان يحمل بشرى التفاؤل الى القلوب التي تخفق من حول تجربة الخالصة الرائدة.. وتتمنى نجاحها تأكيداً لمغزاها القومي الكبير..

وشجعني الترحاب الذي قوبل به الكتاب على متابعة التجربة بزيارات ميدانية على مدار عامها الثاني والثالث.. وكانت الحصيلة هي هذا الكتاب الذي يصدر والقرية تتعجل الدخول في عامها الرابع وقد رسخت اركانها واستقرت.. حتى ان عدد الفلاحين المصريين الذين يرغبون اليوم في الانتقال بعائلاتهم إلى أرض العراق يقرب من عشرين ألف فلاح.. بادروا بالفعل إلى التقدم بطلباتهم إلى الجهات المختصة..

ويمكن القول باطمئنان وثقة، ان الخالصة هي شعاع من نور فجر جديد في ملحمة الوحدة العربية الشاملة..

المؤلفة

المقدمة

قرية الخالصة تجربة قومية رائدة

بقلم

السيد كريم الجاسم

رئيس الاتحاد العام للجمعيات الفلاحية التعاونية

ان تجربة قرية الخالصة لها مبرراتها وابعادها القومية التي تستند في حقيقتها إلى الوجود القومي للأمة العربية باعتبار ان الوطن العربي وطناً لجميع العرب بما يترتب على ذلك من حقوق وواجبات والتي في مقدمتها حرية الانتقال والعمل في أي قطر عربي يرغب فيه ويتوفر العمل فيه.

انها تدخل في نطاق مسيرة الحزب القائد حزب البعث العربي الاشتراكي ومن صميم مبادئه الوحدوية حيث يمر النضال لتحقيق اهدافه عبر مسارات واتجاهات عديدة.

كما ان تجربة انتقال الفلاحين من أرض الكنانة إلى أرض الرافدين خلقت نوعاً من التجانس الفكري والاجتماعي والثقافي والنفسي بين ابناء الشعب الواحد عبر الاتصال اليومي المباشر إذ تمثل هذه العلاقة احدى الركائز المادية والمعنوية التي يضعها الحزب لتوفير الأرضية الصلبة لدولة الوحدة المنشودة من خلال شمول الفلاحين والعمال العرب بالأنظمة والقوانين التي تم تشريعها وحق الحصول على الجنسية العراقية واقامة المشاريع الاقتصادية المشتركة.

كما أن للتجربة الرائدة في الخالصة بعداً آخر هو الجانب الاقتصادي حيث



السيد كريم الجاسم
رئيس الاتحاد العام للجمعيات الفلاحية التعاونية

حاجة مشاريع التنمية إلى الخبراء والفنيين والايدي العاملة باتجاه الاستغناء عن الخبراء الأجانب والتركيز على الطاقات العربية وترجمة مبادىء الحزب باعادة توزيع الموارد البشرية والمالية والطبيعية في وطننا على اسس علمية حديثة تكفل لوطننا البناء والتكامل الاقتصادي العربي والانطلاق لإحياء مجدنا الحضاري واضافة لبنات جديدة في واقعنا الجديد.

من هذا الايمان سعى الاتحاد العام للجمعيات الفلاحية التعاونية إلى بناء هذه التجربة القومية ووضع كل امكانيات الدعم المادي والمعنوي لإنجاحها واضعاً نصب عينيه امكانية نجاحها انطلاقاً من الإيمان بوحدة الهدف والمصير وضرورة تلاحم جهود الجماهير العربية في كل اقطار وطننا العربي من اجل صنع غد الوحدة والحرية والاشتراكية.

فكرة قرية الخالصة

أول معاني قرية الخالصة هو بعدها القومي..
هذا هو الخاطر الذي يرد سريعاً إلى الأذهان..

وهذا صحيح.. ان انتقال عائلات كاملة من الفلاحين المصريين على ما هو معروف من تمسك الفلاح المصري بأرضه، الى العراق، واستقرار هذه الاسر بالفعل، وتخطي صدمة الانتقال المفاجيء بسهولة ويسر، مع سير الحياة الطبيعية العائلية والعملية.. هو أمر يؤكد ما تدعو اليه القوى التقدمية العربية من ضرورة بل حتمية الوحدة على كل المستويات وفي جميع المجالات.

ان نجاح تجربة قرية الخالصة يجعلها بحق لبنة متماسكة تؤكد عمق الناحية القومية. ولكن هناك بعداً آخر كان وراء مشروع انتقال عائلات فلاحين مصريين الى العراق.

ان منطقتنا العربية تمتد بمساحة ثلاثة مليارات فدان لا تزرع منها غير ١٢٠ مليون فدان. كل عناصر التنمية الزراعية من موارد طبيعية وأرض صالحة وحياة وثروة وخبرات فنية وخاصة في الزراعة كل هذه العناصر موجودة بوفرة، ومع ذلك فإن الوطن العربي من اكثر مناطق العالم معاناة من معضلات المسألة الزراعية وعلى رأسها المواد الغذائية بالنسبة الى السكان والخضوع في مواجهة ارتفاع اسعار هذه المواد.

من هنا كان انتقال الفلاح المصري الى حوض دجلة والفرات خطوة على طريق التكامل الاقتصادي العربي ومواجهة معضلات التنمية على اساس قومي.

ان مساحة الأرض الصالحة للزراعة في العراق تصل إلى ما يقرب من ٥٠ مليون دونم (الفدان ١,٦ دونم) لا يستثمر منها إلا نصف هذه المساحة ومن الناحية العملية فإن المساحة المزروعة سنوياً بالعراق نتيجة لنظام الزراعة فيه تصل إلى ١٣,٦ مليون دونم فحسب.

ونتيجة للتقدم الصناعي وخاصة بعد ثورة ١٧ تموز فإن سكان الريف العراقي الذين يصلون إلى ٤٠٪ من مجموع السكان قد بدأوا يقدمون جانباً منهم إلى المدينة والمناطق الصناعية..

يواجه العراق هذا الوضع بالتحرك في جميع الاتجاهات. بالمكننة الزراعية، وباستصلاح الأرض وتنظيم الري وتوفيره بالسدود الجديدة، وأيضاً بالانطلاق قومياً للاستعانة بالأيدي ذات الخبرة العاملة في الزراعة.

كان من الطبيعي أن يتجه العراق نحو مصر للاستفادة من خبرة الفلاح المصري. وفي حديث مع السيد كريم الجاسم رئيس الاتحاد العام للجمعيات الفلاحية التعاونية الزراعية في العراق حدثني عن ميلاد الفكرة وكيف نبتت قال:

لقد بادرت القيادة السياسية لحزب البعث العربي الاشتراكي بتبني هذه التجربة.. ثم كلفت الاتحاد العام للجمعيات الفلاحية التعاونية الزراعية باتخاذ الاجراءات اللازمة لتنفيذ ما تم الاتفاق عليه. وتسهيل كل ما يتطلبه المشروع من المستلزمات الضرورية، لاستقبال اخواننا الفلاحين المصريين.

فاتح الاتحاد العام في القطر الاتحاد التعاوني الزراعي العربي وأمانة الفلاحين في مصر لإرسال وفد مشترك للتباحث حول تنفيذ الاتفاق الذي تم بين القيادة السياسية في مصر والعراق. وصل الوفد برئاسة الأخ محمد مهدي شومان والتقى بلجنة عراقية برئاسة الرفيق عزت ابراهيم عضو مجلس قيادة الثورة، وتم الاتفاق على أن تبدأ التجربة بمائة عائلة على أن تتبعها عائلات أكثر، عندما يكون الجانب العراقي قد هيأ المستلزمات الضرورية لذلك.

في ٣١ مارس (آذار) ١٩٧٦ وصلت الوجبة الاولى إلى مطار بغداد، وكنت مع عائلات الفلاحين المصريين، وشهدت بغداد في ذلك اليوم عيداً قومياً.

سألت السيد كريم الجاسم: ما هو حجم مشروع انتقال الفلاحين المصريين الى العراق؟

اجاب: ليس له حدود وذلك استناداً إلى قرار مجلس قيادة الثورة في القطر الذي ساوى فيه بين ابناء الأمة العربية الذين يعملون بالقطر أو يقدمون اليه للعمل، في الحقوق والواجبات، ونحن نتمنى ان يسكن العراق كثير من اخواننا الفلاحين المصريين، خاصة وان العراق قرر اعطاء الاولوية للمصريين نظراً للازدياد السكاني في مصر الشقيقة وضيق مساحة الرقعة الزراعية بها.

قلت للسيد لكريم الجاسم: ما هو تقييمك للتجربة بعد عام؟

قال: تجربة فريدة من نوعها. الفلاح المصري متعلق بالأرض جداً وليس سهلاً أن يترك الفلاح أرضه وتجربة الخالصة تؤكد القدرة الخارقة للانسان الغربي، ولادراكه الواعي بأن الوطن العربي كله وطنه. من هذا المقياس والمنطلق ارى ان التجربة رائدة تذوب فيها جميع السلبيات التي تعترضها، إذا قيست بأبعادها القومية..

وفي نظري ان التجربة ناجحة وستتوسع في السنين القادمة.. ونأمل ان يصل عدد اخواننا الفلاحين المصريين بالعراق إلى الآلاف وليس المئات.

لقد اثارت تجربة الخالصة انتباه الوطن العربي كله.. بل اتسعت دائرة الاهتمام بها لتشمل عواصم وهيئات عالمية.. وفي المؤتمر الثالث لاتحاد المهندسين الزراعيين العرب الذي انعقد في بغداد بعد عام من تجربة الخالصة.. كانت تجربة الفلاحين المصريين في أرض العراق مركز اهتمام خاص..

فقد رأى المشاركون في المؤتمر ان أبعاد التجربة بغض النظر عن حجمها الحالي، تمثل مرحلة أساسية متقدمة ومبادرة رائدة بأهداف النضال العربي من أجل الوحدة على المستوى السياسي ومن أجل التنمية المتكاملة على المستوى الاقتصادي. لقد حيا المشاركون في المؤتمر تجربة الخالصة وطالبوا بدراستها ووضع خطة شاملة

لتدعيم مسيرتها واتساعها لتصل الى مداها بين مصر والعراق اي بانتقال ٥٠ ألف اسرة فلاحية من مصر إلى أرض الرافدين. وكذلك بتكرارها على مستوى ثنائي قطري آخر.. ثم على مستوى قومي شامل.

انطلق مؤتمر المهندسين الزراعيين العرب الثالث من موقع الاقتناع العلمي بأن تنقل الايدي العاملة، وخاصة الريفية على الساحة العربية حسب مقتضيات التنمية، هو الطريق الوحيد امام الوطن العربي ليواجه معضلات التنمية الاقتصادية، وأيضاً من موقع الاختيار الميداني لمدى نجاح التجربة.. بعد أن زار المشاركون في المؤتمر قرية الخالصة.. وتحدثوا إلى اهلها.. وتفقدوا بيت الفلاح وحقله ومراتع بنيه ومرافق قريته.. وتفاءلوا بالمستقبل..

ما هي الحقائق الاساسية المادية والواقعية التي تقف وراء تجربة الخالصة..

أولى هذه الحقائق هي سوء توزيع السكان في الوطن العربي..

ان حوالى ٧٥ في المائة من سكان هذا الوطن يقطنون الدول العربية غير النفطية، بينما لا يتجاوز سكان دول النفط ٩٪ من مجموع السكان..

الحقيقة الثانية هي ان المساحة الزراعية في الوطن العربي تصل الى ١٠٠٠ مليون فدان، لا يزرع منها غير ١٢٦ مليون فدان.

وهكذا.. رغم الامكانيات الكبيرة المتاحة لتطوير الزراعة في الوطن العربي، الا ان الايدي العاملة الفنية في بعض الاقطار وندرة الموارد المالية في البعض الآخر، يجعل اي تطور في هذا المجال مستحيلاً دون تحرير حركة الايدي العاملة حسب خطة قومية، وانتقالها الى حيث متطلبات التنمية واحتياجاتها، في اطار من التكامل الاقتصادي العربي..

من هنا.. تكمن قيمة تجربة الخالصة..

ان التجربة لم تكن في الحقيقة غير مبادرة شجاعة لتنفيذ اتفاقية الوحدة الاقتصادية، والميثاق العربي للعمل، ودستور منظمة العمل العربية، ووضع أهداف مجلس الوحدة الاقتصادية العربية موضع التنفيذ والانتقال بحركة الايدي العاملة

العربية بين الاقطار العربية من مرحلة الانتقال العشوائي لتحسين ظروف معيشة الفرد والاسرة إلى مرحلة الحركة الرشيدة على أساس التنمية القومية الموحدة..

وصحيح ان اتفاقية الوحدة الاقتصادية بين الدول الاعضاء في جامعة الدول العربية قد نصت على حرية الانتقال فيما بين الدول الموقعة على الاتفاقية وحرية الاقامة وممارسة النشاط الاقتصادي وحقوق التملك والارث والايصاء.. ودعت الى تنسيق السياسة الاقتصادية وتوحيد التشريع الاقتصادي بما يضمن شروطاً متكافئة في حالة انتقال الايدي العاملة من بلد عربي إلى بلد آخر..

غير ان تجربة الخالصة جاءت لتؤكد أن قيمة أي قرار قومي هي في تطبيقه.. وقدمت في الواقع الحي صورة قرية فلاحين مصريين تتمتع بأحكام قانون الاصلاح الزراعي في العراق..

ويتساوى اهلها مع جيرانهم في القرى العراقية المجاورة في الحقوق والواجبات، بحكم ما اصدره مجلس قيادة الثورة في العراق من قوانين..

ولقد كانت مسألة انتقال الفلاح المصري من أرضه تبدو مستحيلة نتيجة ما استقر في الأذهان على مدى قرون، عن شدة ارتباط فلاح مصر العربية بوجه خاص بالأرض التي عمل عليها أباً عن جد..

ولكن تجربة الخالصة زحزحت هذه المقولة عن مستقرها واثبتت ان العامل القومي هو الاساس وانه قوة جذب خارقة قادرة على اذابة الحواجز مهما كانت راسخة، وتحرير المواطن العربي من قيود رسخت بفعل قرون من زمن التجزئة..

لقد ردت الخالصة - بالحقيقة - على كثير من الاقطار التي ظلت سائدة كأنها مسلمات.. وفتحت الطريق امام تدفق قومي ايجابي ومثمر لا يعرف حدود الاقاليم..

لهذا.. اتجهت توصيات مؤتمر المهندسين الزراعيين العرب بعد ان تفقدوا موقع التجربة الى ابراز اهميتها وتقييمها واكدوا على ايجابياتها.. وبأن تتخذ مرشداً

ومنطلقا لنقل وتحريك القوى العاملة العربية في اتجاه اهداف التنمية القومية..

ونفس التوصيات والقرارات تبناها المؤتمر الخامس لاتحاد الجمعيات الفلاحية في القطر العراقي الذي انعقد في مايو(ايار)١٩٧٧ ولقيت ترحيباً من وفود عربية وعالمية للفلاحين تتجاوز الخمسين وفداً.. كانت مدعوة إلى مؤتمر الفلاحين العراقيين..

صورة عامة

كان ذلك منذ ثلاث سنوات.

بعد وصول الفلاحين المصريين ببضعة أسابيع أصبحت زيارتي لقرية الخالصة عادية.

كان يجذبني اليها دافع المهنة كصحيفة، ودافع الحماسة لتجربة قومية.. كنت اركب الميكروباص (الفورت) من ساحة النهضة في بغداد، وانزل بعد نصف ساعة امام قرية الفلاحين المصريين على طريق البصرة.

كنت اشعر بسعادة وانا اواجه القرية واتقدم نحو البيوت والناس.

اسبوعاً بعد اسبوع وشهراً بعد شهر، كانت الحياة تزدهر وتنمو.

في البداية كان اللون الاخضر غائباً. بدأ يزحف بعد ذلك مع أوراق الشجر.

بدأت الزيجات، والمواليد، ودخلت الدواب وارتفع دخان الافران، وصوت الماشية والدواجن دبت الحياة في السوق والمدرسة والمركز الصحي، ومركز الثقافة الريفية، ومخزن الجمعية التعاونية ومقرها، والمقهى.

في الصيف امتدت الخضرة، وبدأت الشاحنات تقطع الطريق بين حقول الخالصة، ومراكز التسويق في بغداد.

في الشتاء اتسعت الخضرة في الحقول اكثر، وازدهرت الارض المستصلحة بالحنطة والبرسيم. في البداية كنت اخشى على التجربة من الفشل. كنت أسمع من يردد أن الفلاح المصري مشدود الى الأرض كأشجار الجميز ويستحيل أن يتكيف مع مكان آخر..

وكنت اسمع ان التربة غير التربة وأدوات الزراعة نفسها مختلفة. وان المناخ العراقي سيصدم الفلاح المصري، صيفاً بالحر الشديد، وشتاء بالبرد الشديد..

وكنت اسمع ان تكوين القرية نفسه، مائة اسرة لا يعرف بعضها بعضاً، تفتقر الى اهم عنصر من كيان أي قرية فلاحين.. وهو الامتزاج بين اهلها جيلاً بعد جيل.. وكان هذا الرأي يقول: كيف تعيش القرية بلا تاريخ؟ ولكن مخاوفي بدأت تزول مع الوقت..

كانت هناك قوة خارقة تدفع هذه المخاوف الى الخلف، وهي قوة مئات السواعد سواء المصرية أو العراقية والتي صممت. بالعمل معاً - على نجاح التجربة. ابتداء من الطلبة العراقيين الذين بنوا بالعمل الشعبي بيوت الخالصة الى سائقي الجرارات، وعاملات البناء، والمدرسين والمهندسين الذين تحمسوا على حب للتجربة، وتعاونوا كتفاً الى كتف مع الفلاحين المصريين لكي يتغلبوا على العقبات، ويضعوا الاساس المتين للمشروع الكبير.

مر الصيف واحتمله الفلاحون.. وكذلك الشتاء..

وزرع الفلاحون الزرعة الصيفية.. وباعوا وكسبوا.. وزرعوا الزرعة الشتوية، وفاق نجاحها زرعة الصيف، وخرج من القرية فوج حجاج من ستة وبدأ البعض يعرف الطريق الى مصر في زيارة خاطفة للأهل ثم يعود..

الحقول خضراء.. والبيوت عامرة بالخير، واتشمم كلما زرت الخالصة، رائحة القرية التي اعتدت عليها في طفولتي.. وارتاح لسماع كلمات الترحيب من الفلاحات على عتبات بيوتهن.. ومشهد الصغار يلعبون في حواري القرية، يختلطون بالدجاج والبط والاوز وعلى وجوههم علائم الصحة بينما مؤسسات القرية: المدرسة، مركز الثقافة الريفية، المركز الصحي، السوق، الجامع، الجمعية التعاونية.. كلها تدب الحياة فيها، وعليها مسحة الهدوء الريفي المعتاد....

مع الوقت كنت ألمس التطور في ازدهار الارض والتغلب على العقبات وتناقص عدد الخلافات التي كانت تنشأ أحياناً كما يحدث في كل قرية..

ومع الأيام لاحظت ان الفلاح بدأ يقتني – اضافة الى ما صرفته ادارة المشروع من الدواجن الماشية والدواب.. مرة دخلت القرية ولاحظت ان الحمير قد سجلت وجودها، يركبها الكبار والصغار في طريقهم الى الحقول، وقال لي الفلاحون ان سعر الحمار يصل إلى واحد من عشرة في مصر.

بل إن احد الفلاحين واسمه محمد فارس اشترى حصاناً رأيته وهو يروضه قرب سوق القرية ومحمد فارس فلاح له قدرة على ابداع الموال الشعبي ارتجالاً، وكان من احلامه ان يمتلك فرساً وتحقق له في العراق حلمه.

واشترى بعضهم بقرة قبل ان تصل الابقار التي تقرر ان يقدمها لهم المشروع.

وقال لي مدير المشروع المهندس العراقي (مهدي المؤذن) إذا اشترى الفلاح الدواب والماشية فمعنى ذلك أنه أحب الارض واستقر.

في زيارتي الاولى الى الخالصة كان الحديث يدور عادة حول الاستقبال الحار والفرحة العراقية بقدوم عائلات من الريف المصري، والبيت الصحي الكامل التأثيث، والراتب الشهري لكل عائلة، والرعاية الصحية، والمدرسة القريبة التي التحق بها اطفالهم، وتحملهم اليها سيارة خاصة.

بعد ذلك كان الحديث يدور حول مطالب، مثل تهيئة فرن فلاحي مصري بدلاً من التنور العراقي لبيوت القرية. واستعجال استلام الارض المستصلحة. وفي الصيف كان الحديث يدور ساخناً حول الارض والري، وأدوات الانتاج، والبذور والزيجات الجديدة، والمواليد، وعندما تم حصاد الزراعة الصيفية، دار الحديث غالباً حول التسويق، النقل والاسعار..

خلال تلك الأيام كان الفلاح المصري وأسرته قد عرف الطريق الى بلدة ديالى القريبة والى اسواق بغداد، واتحاد الفلاحين والاتحاد التعاوني، وكانت القرية تعيش من حين إلى حين في جو فني خاص. حين تهبط بها مجموعات الفنانين والمصورين لإعداد افلام تسجيلية عن حياتهم وعرف صوت الفلاح المصري طريقه

الى مسامع العراقيين عن طريق الراديو وأيضاً على شاشة التلفزيون وهو يحكي عن تجربته الجديدة.

في الصيف كانوا يزرعون ارضاً مستصلحة مؤقتة– مساحتها حوالى ٣٥٠ فداناً (٥٢٠ دونم) غير الحدائق الخاصة في البيوت، زرعوها بالبطيخ (الرقي) والشمام والخيار والباميا واللوبيا. وصحيح ان الزراعة بدأت متأخرة عن موعدها العادي ولكن الأرض جادت بالخير وباع الفلاحون واشتروا، وأدى بعضهم فريضة الحج، وتزوج العزاب، وكانوا خمسة ولكن. الموسم الشتوي بدأ على مساحة اكبر، حوالى ٨٠٠ فدان (١٢٣٠ دونم) زرعها الفلاحون بالشعير والبرسيم على أرض تم استصلاحها بعناية اكثر وبنظام ري ادق.

من الأمور التي لفتت انتباهي في كل زيارة، العلاقات الأخوية التي نشأت بسرعة بين العراقيين والمصريين سواء من القرى العراقية المجاورة أو من الفنيين وعمال الجرارات والشاحنات وبين اهل القرية.

عرفت مهدي المؤذن مدير المشروع قبل ان أراه، من حديث الفلاحين عنه. مهندس زراعي تخرج عام ١٩٦٠ مشهور بأنه صاحب عقلية منظمة وعملية، وأنه ينجح في كل مسؤولية تُسند إليه...

وعرفت جاسم جبر ناظر تعاونية مشروع الوحدة العربية. له تجربة عشر سنوات في الاصلاح الزراعي وصديق كل بيت في قرية الخالصة. مشهور بالصبر والدقةوالمودة. وعرفت– داود سلمان– مرشد زراعي له خبرة تزيد على اثنى عشر عاماً، مشهور بين فلاحي الخالصة بأنه يعمل بنفسه في الحقول..

من خلال مثل هؤلاء الرجال عرفت الرأي الذي بدأ ينتشر بين العراقيين عن التجربة.. كلهم اجمعوا على ان ما شهدوه في تجربة الخالصة يؤكد ما سمعوه عن طبيعة الفلاح المصري: شديد الارتباط بالأرض، يعرف قيمتها، ويصادقها ويخدمها. حرصه على الزراعة اشد، وتجربته اوسع.. ويخدم الزراعة.

بعد عام من ميلاد الخالصة، كان بامكان اي انسان منصف وبعيد النظر ان

يثق بنجاح التجربة وأنها تسير في طريق التطور والثبات والرسوخ.

كانت الحياة تسير نحو الاستقرار.. هكذا كانت خضرة الحقول تؤكد كما كان حديث الفنيين العراقيين الذين بدأوا مع المشروع وساروا معه يؤكد هذا المعنى، وبالفعل صمدت التجربة، وهي تقترب من ابواب عامها الرابع.

واستمر ترددي على الخالصة طوال عامها الثاني.. كان العام الثاني يبدو لي كأنه اللحظة الحرجة في حياة القرية..

كان الفلاحون قد حصلوا على الابقار المحسنة التي قدمها المشروع لهم، وبدأ خير البقرة يدخل في حياة كل دار، ويضع لمسة كانت غائبة عن صورة الحياة الريفية.. هي قطعة الجبن ووعاء الحليب وسائر مستخرجات الالبان..

وكانت الانتاجية تزيد.. والارض تلين اكثر تحت الفأس.. والسوق تتسع امام الحبوب والخضروات والديون تلغى والراتب الشهري يستمر بقرار من الاتحاد، والاتصال بين القرية والعاصمة يصبح ميسراً بخط اتوبيس جديد.. والصحة العامة لأهل القرية تتقدم وتنعكس على الوجوه والاجسام وزيادة دخل الفلاح تبدو على أثاث داره وفناء الدار التي بدأت تستقبل الماشية والدواجن.. وكانت الحقول نفسها تكتسب حيوية بما أقامه الفلاحون عليها من اكواخ العمل.. وما يرتع فيها من دواب.. وكانت عملية جمع الشمل وتكامل العائلات تسير سيراً طبيعياً.. كل هذا كان يوحي بالثقة، وبأن الاستقرار هو السمة الغالبة على التجربة..

غير ان التجربة كانت تعاني من ظاهرة أشبه ما تكون بتجربة المخاض..

كانت هناك قلة من اهل القرية تثير مقداراً من الضجة فوق ما تحتمل المشاكل التي يطرحونها.. وغالباً ما كان يصاحب طرح هذه المشاكل اشاعات غير صحيحة حول استمرار التجربة.. مما يضفي جواً من التوتر والقلق يطغى أحياناً على معالم الاستقرار والرسوخ..

كانوا يضجون من مسألة ملوحة الارض ويشككون في امكان التغلب النهائي

عليها.. وكانوا يشكون من البقرة التي تسلموها ويتهمونها بشتى أنواع التهم وفي مقدمتها أنها عقيم..

غير ان الوجوه الهادئة التي كانت تقابلني سواء في الحقول او في مواقع الخدمات بالقرية او في إدارة المشروع كانت تؤكد لي أن هذه الزوابع اكبر من حجمها الحقيقي وان الذين يثيرون غبار الشك والقلق، انما يغطون عجزهم عن مواجهة التجربة، لأنهم كانوا مغامرين وليسوا فلاحين..

لقد كان العام الثاني هو الامتحان الحقيقي، وهو الذي شهد عملية فرز حاسمة بين من هو فلاح. ومن قال إنه فلاح ولم يصدق..

فرزت الارض الزبد.. وطرحته بعيداً.. واستبقت ما ينفعها وينفع الناس.. وخرجت القرية من مخاضها قوية راسخة البنيان، وانقشعت ريح الخماسين عن سماء صافية.. وحقول مزدهرة.. وبيوت آمنة مطمئنة.. وأسرعت معالم الاستقرار خطاها ودارت العجلة سواء في الغيطان او في الدور أو مرافق القرية التي تكاملت دوراناً طبيعياً.. وعادت زغاريد الزيجات الجديدة، واستقبال العائدين من زيارة مصر بهدف جمع الشمل تلعلع في سماء القرية.. وأصبح الحديث عن زيادة مساحة الارض في التقسيم الجديد وزيادة الانتاجية وزيادة الدخل سواء من الزراعة او المشاريع الفردية والثروة الحيوانية هو الحديث المألوف.. وتطورت مظاهر الاستقرار في البيوت وأصبحت الثلاجة والتلفزيون من المعالم المألوفة بعد ان كانت حالات محدودة.. وبدأ مبنى الشرطة يشكو من الصمت الذي لا يعكره أي صوت..

وكانت العلاقات بين أهل القرية قد توطدت وخرجت من نطاق المعرفة الى نطاق الصداقات الوطيدة وكذلك اتسعت وتعمقت علاقات أهل القرية بجيرانهم من الفلاحين العراقيين وتجاوزت حدود المنافع المتبادلة واستكشاف الطبائع الى آفاق الاخوة العربية الوثيقة..

ومع الاستقرار.. بدأ النزوح الى زيارة الأهل في مصر لدى سماع أي خبر أو مواجهة أي مشكلة يقل بالتدريج..

وبدأت الطلبات تختصر الى حدود المعقول بعد ان كانت جزافية، مثل الاقتراض بسبب طارىء عائلي او سفره للأهل في مصر.. لقد اصبح لكل بيت ميزانيته الطبيعية، ومدخراته وخطته المستقرة.. باختصار.. انتهت آلام المخاض.. ودخلت القرية في عامها الثالث مرحلة الفطام.. يناقش أهلها الى جوار المشاريع الفردية مشاريع جماعية لزيادة دخل القرية والتغلب على ديون الجمعية التعاونية..

وبدأ حديثهم ينتقل الى أهمية الانتظام في دروس محو الامية.. وفن الزراعة بعد تجربة الارض والسوق في أكثر من موسم زراعي.. وبدأ العائدون من زيارة الأهل في القاهرة يزودون القرية بالبذور الجديدة بل اتسعت هذه العملية لتشمل الجيرة العراقية.. بحيث انتشرت أنواع الخضر المصرية في أسواق الناحية. وأصبح للقرية حضور سوقي بلغة الاقتصاديين في جسر ديالى والزعفرانية بل وفي بغداد نفسها..

وبدأت ظاهرة المنافسة على الإنتاجية تحل محل الخلافات حول أتفه الاسباب.. لقد صادق الفلاح الارض وألان عريكتها واكتشف حلوها ومرها.. واصبح الفراق صعباً بعد عشرة دامت ثلاث سنوات حافلة..

التصق الفلاح بالارض بعد ان شربت عرقه.. واكل من خيرها واهل بيته.. وماشيته.. لقد دارت دورة الحياة واكتملت بين قلب الفلاح وقلب الأرض. ورسخت التجربة.. واصبح مشهد جماعات الفلاحين المشغولين بالثرثرة على نواحي شوارع القرية او المقهى من المشاهد التي انقرضت واصبحت الحقول هي مركز الحركة ومحور النشاط.

الناس والأرض

مثل أي قرية عريقة أصبح للخالصة مجتمعها الخاص.. بشخصيتها وحكاياتها، ونشاطها العام وعلاقاتها بشرايين الحياة الممتدة من حولها..

لقد تعرف أهل الخالصة على بعضهم البعض قبل أيام من الوصول الى العراق.. ولم يكن ذلك كافياً لتنشأ علاقات بمعنى الكلمة.. ولا كانت الشهور الاولى كافية لخلق مجتمع القرية المتآلف الذي يعرف أفراده بعضهم البعض حق المعرفة.

غير انه بمضي الوقت.. تعارف الناس اكثر.. فيما بين أهل القرية نفسها، وفيما بينهم وبين الاخوة العراقيين من الفنيين والجيران الفلاحين.. وفي الاتحاد العام للجمعيات التعاونية الفلاحية ومراكز التسويق..

أصبح للقرية حكاياتها وأحداثها.. تسمع عن قصص الزيجات الجديدة، والمواليد الجدد العائدين من مصر بعد زيارة خاطفة، والذي جمع شمل عائلته والذي سجل أعلى انتاجية والذي يفكر في شراء تويوتا لنقل المحاصيل.. والذي سجل أعلى رقم في تسمين العجول.. واصبح أبطال العمل الرائد من الفنيين العراقيين على ألسنة اهل الخالصة وفي قلوبهم..

لقد تعرفت العوائل المصرية على العوائل العراقية من الريف المجاور وتزاوروا في السراء والضراء.. وتكيف الفلاح المصري مع المناخ والناس والأرض والمعالم واصبحوا يستقلون الفورتات باتفاق جماعي ويزورون العتبات المقدسة في النجف وكربلاء.. كما اعتادوا من قبل زيارة السيدة زينب وسيدي الحسين.. ودقوا بالمسامير الصور الشعبية والدينية العراقية على جدران المندرة الى جوار صور

الاهل والاصدقاء وعرف ابناؤهم حديقة الزوراء وسلمان باك من خلال النشاط المدرسي وأتقنوا اللهجة العراقية من خلال الصداقات التي انعقدت في المدرسة ونشاطات الطلائع..

ويجب ان نسجل ان هذا التكيف مع البيئة سواء في القرية نفسها او في المحيط العراقي كان اسرع مما توقع اشد المتفائلين.. وهذه شهادة لقدرة فلاح مصر على حسن التصرف والقدرة على بناء العلاقات الوثيقة بسرعة فوق العادة..

هكذا نشأ مجتمع القرية الذي لا تشعر امامه بالقرية.. والذي يدعوك مرحباً بغير سدود.. ويفتح لك قلبه من الوهلة الأولى، مجرد ان يطمئن الى انك مثله متحمس لنجاح تجربة الخالصة.

— ١ —

كان الأصل في الاتفاق المعقود بين مصر والعراق هو ان ينتقل الفلاحون على هيئة عوائل، غير ان الجانبين في تطبيق تجربة الخالصة تجاوزا بعض الشيء باعتبارها التجربة الأولى. من هنا استقبلت القرية في بدايتها سبعة من العزاب على وعد منهم بأن يتزوجوا في أسرع وقت.

هكذا كنت في كل زيارة خلال العام الأول من التجربة أسأل عن الحالة الاجتماعية لعزاب الخالصة.

وقبل نهاية العام كانت الخالصة قد شهدت ست زيجات وقررت وقتها ان ازور آخر عروس.. كان العريس في الحقل والعروس عند امها..

دخلت بيت علي يوسف والد عفاف..

فلاح من دكمة منوفية.. في الثامنة والاربعين.. طيب جداً، يمضي كما المياه بالمروى.. مطمئن جداً الى حياته هو وأسرته في الخالصة، تزوجت عفاف اصغر بناته واولاده الثلاثة في مدارسهم.. والخير في الأرض والدار..

استقبلني الثلاثة بحرارة مبتسمين. الاب، والام وعفاف.. جميلة لها عيون سوداء واسعة جداً تتلألأ بالسعادة.. تخيلت انها نفرت، تركت المتحف المصري في ميدان التحرير، وجاءت الى الخالصة لتبدأ حياة جديدة.. لها نفس الملامح بل نفس قوام الجسم ولمعان العيون..

احاطوا بي في المندرة أي غرفة الجلوس بلهجة الفلاحين في مصر، يرحبون ويردون على اسئلتي بغير كلفة..

استأذنت الام – وهي شخصية – لتعود بطبق من التمر قائلة في مرح: تحية



عفاف وعبد العزيز

عريس وعروس من الخالصة

العراق بلح.. سألت ضاحكة: كيف دخل عبد العزيز في زوارقكم.. وعبد العزيز حسن هو العريس فلاح شاب من الدبابية منوفية، يمتدحه أهل القرية جميعاً.. نشيط مهذب، يعرف ربنا كما يصفه اصدقاؤه..

قصة الزواج مرتبطة تماماً بقصة الخالصة:

عم علي كما يسميه أهل الخالصة، كان يفكر في النزوح من دكمة الى القاهرة، بحثاً عن ظروف أحسن لتربية اولاده، حين سمع قصة الخالصة اول مرة.

كان شقيق زوجته المهندس في الشركة الشرقية للدخان في زيارة الى تركيا والعراق وقرأ عن المشروع في الصحف العراقية.. وحين عاد الى مصر وزار قريته وجد عم علي، يستعد للنزوح الى القاهرة.. اقترح عليه ان يقدم طلباً ليكون أحد فلاحي الخالصة.. وقدم الطلب وقبلوه..

كانوا ستة فلاحين من دكمة.. قبلت طلباتهم ولكن خمسة منهم تخلفوا.. تحت ضغط زوجاتهم كما يقول عم علي.. وقفت امامه مشكلة.. أوراق اولاده في المدارس كانت في إدارة الامتحانات وتحتاج الى وقت لاستردادها..

قرر ان يسافر ويصطحب معه ابنته عفاف.. ويترك زوجته حتى تحصل على الاوراق وتلحق به.. لمح عبد العزيز حسن، عفاف وتعرف على والدها.. واتخذ قراره وفاتح عمه علي.. وبعث الرجل برسالة الى زوجته في القرية وبدأت المعارضة. قالت الأم: يفكرون في الزواج ونحن غير قادرين على الحصول على أوراق الاولاد..

وقالت الأخت: اختي تتزوج ولا احضر فرحها.. مستحيل.. ولكن عبد العزيز فلاح لا يعرف المستحيل.. بدأ عملية ضغط.. خلالها وصلت الام..

الضغط اصبح مكثفاً بدخول السباقات أي وساطة الناس الطيبين.. دخلوا للأم من باب الامومة.. قالوا لها: عبد العزيز وحيد.. يكدح في الأرض ولا يجد من يعد له لقمة.. وعبد العزيز شاب طيب.

وقالت الام: وهل كنت الجبته ونسبته.. ولكنها كانت أماً بحق.. في أعماقها أحست بأن هناك فتى طيباً بحاجة الى فتاة طيبة تعمر له داره.. وكانت تشعر بأن زوجها راض.. في النهاية قالت على خيرة الله..

وحين علم عبد العزيز ان خالته ام سعيد وافقت.. لم يصدق.. طار من الفرح كما تقول عفاف..

بين الدبابية ودكمة مسافة بسيطة.. ولكن اللقاء تم في الخالصة.. وقام بيت سعيد. امينة محمد.. الام.. وجه فلاحة مصرية بحق.. يبعث الثقة في قلب المهزوم.. تدافع عن مدينة بأسرها اذا لزم الأمر.. وتعرف قيمة مشروع انتقال الفلاحين المصريين الى أرض العراق وتدافع عنه.. تبذل مجهوداً في ارساء حجر الأساس، أي قرية الخالصة.. تنافس الرجال في المشاكل وتهتم بتقوية العزائم.. تتحدث بطلاقة عن الحياة الجديدة..

اولادها ابراهيم ومحمد.. الاول في المرحلة الاعدادية والثاني في المرحلة الثانوية.. تعليمها بالمجان بما في ذلك ادوات الدراسة..

العراقيون طيبون لا يغلطون في أحد.. الحنين الى الأهل موجود.. ولكن السفر للزيارة بين فترة وأخرى ممكن..

ارسل عم علي الى قريته يطلب (حصيرة جبنة) لان البقرة في الطريق.. وبعد فترة يشترون بقرة ثانية.. عن الأرض قال لي عم علي ارض طيبة.. الحمد الله.. روت لي خالة امينة قصة كتب الكتاب.. أي عقد القران.. في سلمان باك لم يعجبهم المأذون.. نزلوا بغداد وذهبوا الى المحكمة ثم عند القاضي الشرعي.. ارتاحوا الى الاجراءات.. والفرح عشر ليال قبل الحنة والدخلة في طبل وزمر وغناء. ليلة الحنة في بيت العريس.. حفلة للحبايب.. ليلة الدخلة في بيت العروس.. حفلة ختامها زفاف، انتقلت به عفاف الى بيت الزوجية بالطبل والتاج والطرحة. كانت الليلة شديدة البرد.. ولكن القلوب في الخالصة كانت دافئة..

اصبح بيت عم علي من البيوت التي احب زيارتها في كل زيارة لي للخالصة.. وبعد عيد الاضحى الماضي بأيام ذهبت لأهنئهم بالأيام المباركة. قابلتني ام سعيد ودار الحديث حول صينية عليها أكواب الحليب الساخن..

قالت: وصلتني من مصر اربع بطاقات معايدة للتهنئة بالعيد من الابناء والاحفاد والأهل الحمد الله جميع الأهل في مصر بخير. قلت: وما هي أخبار اولادك محمد وابراهيم في المدرسة؟ قالت: محمد في الصف الرابع متوسط في مدرسة ديالى الثانوية، ابراهيم في الصف الثاني متوسط في مدرسة المشروع.. سألتها عن عفاف وعبد العزيز..

قالت والفرحة تملأ وجهها الطيب:

عفاف تنتظر طفلها الأول وعبد العزيز سعيد للغاية.. لاحظت ان تليفزيوناً جديداً قد دخل البيت. سألتها: ماذا يعجبك في التلفزيون؟

قالت الافلام المصرية، والأغاني العراقية، بعد ان اصبحت أفهم اللهجة

العراقية.. تعجبني أنوار عبد الوهاب، وايضاً سعدون جابر، تمثيلية المتمردون تابعتها وشدت انتباهي للنهاية كما تعجبني الاغاني الكويتية والسعودية التي تذاع من التليفزيون.. وصلت عفاف عائدة من الحقل ما زالت تعمل في الحقل على الرغم من ان العمل ليس سهلاً، وهي حامل في الشهر السابع، ولكن تحتاج الأرض الطيبة الى عرق الجميع لتنمو وتزدهر..

* * *

بمناسبة اقتراب السنة الثالثة للتجربة من نهايتها ذهبت الى بيت عفاف وعبد العزيز..

على الباب كانت هناك سيارة تقف محملة بجوالات السماد والعلف المركز، بينما كان سيد طه يتعاون مع عبد العزيز في نقل حمولة السيارة الى الداخل. قطعا العمل ليرحبا بي، بينما استقبلتني عفاف على الباب بابتسامة عريضة وعلى كتفها طفلها الأول..

كان الطفل يفيض حيوية وصحة، والى وجهه انتقلت صورة من ابتسامة الام. دخلت الى المضيفة ولحق بنا عبد العزيز، وبدأت المجاملات لتنقلنا بسرعة الى حديث الخالصة. عبد العزيز يتحدث عن انتاجه بافتخار، يبدأ بشكل طبيعي معدداً الإيجابيات، المشاكل لا تحتل من حديثه ألا حيزاً محدوداً ودائماً في المؤخرة..

قال: الإنتاج في زيادة مستمرة والحمد الله. أول سنة لا تحسب. كانت الأرض مؤقتة وغير مستصلحة ومحدودة المساحة والزراعة نفسها متأخرة، لذلك تراوح معدل دخل الفلاح بين ١٥ديناراً ومائة دينار. المسألة كانت مهزوزة.. بالنسبة لي اعطت الارض ٥٠٪ من قدرتها في اول سنة الآن تعطي ٧٠٪ والسبب هو درجة الاستصلاح. بعد اتمام الاستصلاح سيسيطر الفلاح على الارض تماماً، وستعطي الارض كل انتاجها. ومشكلتنا مع الاستصلاح هي مشكلة السواقين..

سألته: ما هو التغيير الذي دخل على حياتك خلال ثلاث سنوات.. نظر الى

عفاف وايمن في بهجة ظاهرة، وقال: اهم تغيير هو عفاف وايمن، وفي هذه المسألة، ضاحكاً، افكر في زواج ايمن من الآن. ثم انتقل وقد تملكه المرح ليقول: بعدها تأتي بقرة المشروع والان عندي اربع بقرات.. اشتريت تليفزيون وجهاز تسجيل وراديو..

سألته: هل جاء ايمن بدون مصاعب لعفاف؟ أجاب: في وجود المستوصف لا صعوبات في حالات الولادة. والرعاية تبدأ قبل الولادة وبعدها.. كانت صحة ايمن هي الشهادة على صدق القول.. قال لي عبد العزيز انه لم يسافر الى مصر طيلة السنوات الثلاث. لافراغ للسفر، كل وقت عبد العزيز للارض ومشروعه الصغير في تربية العجول وبيته الجديد..

عاد بنا الحديث الى الأرض. قال في البداية كان الري هو المشكلة الآن اصبح استصلاح الأرض. الري انتهت مشاكله بزيادة المضخات. وموضوع الملوحة ليس له الا حل واحد هو استخدام الارض، زراعتها وخدمتها. وبالتجربة فان نسبة الملوحة انخفضت الى النصف عما كانت عليه منذ ثلاث سنوات ومع الاستصلاح والمداومة على الزراعة تختفي الملوحة.. كان يتحدث عن الارض بحب، ويثق بأنه سيسيطر عليها هو لا يراها ولداً عاقاً ولكن ولداً يحتاج الى رعاية عادية.

قال: احب هذه الارض، وسأعيش عليها الى الأبد منذ كانت مساحتها ١٥ دونم وحتى اصبحت ٢٢ دونم..

سألته: هل تقدر على زراعة الارض بعد هذا الاتساع.؟ أجاب: كلما اتسعت الأرض، اتسع طموح الفلاح. والأمر يتوقف على خدمة. وبي احساس انني قادر على زراعة ضعف هذه المساحة دون حاجة الى معونة من أحد.

سألته عن تطور الدخل الذي حققه منذ البداية بالتقريب؟ اجابني بوجه صريح: ولماذا بالتقريب: سأخبرك عنه بمعدل صحيح.

أول زرعة في الصيف كان دخلها ٨٠ ديناراً.

الزرعة الشتوية ٦٤ ديناراً.

المجموع عن أول سنة ١٤٤ ديناراً.

السنة الثانية: ١٤٥ ديناراً من الشعير ومن الزراعة الصيفية ١٤٥ ديناراً. المجموع ٢٩٠ ديناراً. ثالث سنة: الزراعة الصيفية ١٢٠ ديناراً والشتوية ما زالت في الأرض، مع ملاحظة ان الزراعة الصيفية أثرت عليها موجة الحر ولولاها لكانت النتيجة أفضل. كانت عبارة عن لوبيا، خيار، باميا، وقرع. سألته عن وسيلته لتسويق انتاجه. قال: كان التسويق في البداية تعاونياً ولكن كان به مصاعب واعتقد انها مصاعب يمكن التغلب عليها، وهو أفضل من التسويق الفردي الذي نتبعه الان ما عدا تسويق الشعير والحنطة الذي يتم تسويقها تعاونياً.. سألته عن تجربته في تسمين العجول وبيعها كان في ساحة الدار تسعة عجول.

قال: شجعني على المشروع أن الدولة تقدم علفاً مخفضاً مركزاً لتشجيع التجربة بمقتضى قانون يستفيد منه كل فلاح في العراق.. وقد وصل حجم تجربتي الى ١٢ عجلاً في بعض الأحيان والتجربة تحقق لي زيادة في الدخل.

* * *

بعد أيام من هذه الزيارة علمت ان عم علي عاد من القاهرة، وذهبت لتهنئته بسلامة الوصول كان البيت كخلية النحل بحكم كثرة الداخلين والخارجين فقد كانت القرية في فرحة حقيقية بعودة الفلاح الطيب..

استقبلني في بيت عم علي وجه جديد جميل هو وجه فتحية بنت عم علي التي عادت مع ابيها من مصر.. كان زوجها وهو عامل نسيج قد سبقها الى الخالصة كمنطلق للبحث عن عمل..

كانت ام سعيد باسمة كعادتها وفي قمة المرح لقد تجمع الشمل الآن، عفاف في بيتها الجديد، وفتحية وقد استقرت مع زوجها وابنها وابنتها، ولم يبق الا فوزية وسعيد الذي يقضي مدة خدمته في القوات المسلحة.. قالت لي أم سعيد ان عم علي جاء معه بشهادات اخيها عبد المعطي الاخصائي في صناعة الدخان حتى تنضم

اسرة أخرى الى العائلة الكبيرة في العراق..

كان المهندس عبد المعطي هو الذي شجع اخته على الانضمام الى عوائل الخالصة. والآن جاء دورها لمساعدته.. روت لي قصة زيارة زوجها لقريته في مصر. استقبلوه بالزغاريد. واستمعوا الى قصة الخالصة من رجل يثقون في رواياته، واعتبروا زيارته عيداً في القرية.

سألتها: الا تثيرك حكايات عم علي لزيارته لتقومي بزيارة مماثلة. قالت بلهجة واثقة: ان من أشتاق اليه ابعث اليه بدعوة ليزورني هنا. وما يشغلني الآن هو ايجاد عمل لأخي المهندس الخبير في خلط الدخان ليلتئم شمل الأسرة.. بينما كنا جلوساً كانت هدايا الجيران تتوالى على ام سعيد احتفاء بعودة رب الأسرة.

نادراً ما كانت لقاءاتي بالفلاحين فردية.. بحكم ترددي الدائم على القرية لحوالى سنوات ثلاث.. وبحكم ما نشرته عن تجربتهم في الصحف العراقية والعربية، وخاصة بعد صدور كتابي الأول، حكايات من الخالصة، اصبح وصولي الى القرية حدثاً محبباً الى نفوسهم..

هكذا كان بعضهم يدقون باب الدار التي ادخلها ليتجاذبوا معي أطراف الحديث.. هكذا كان الحال حين قصدت دار ام أشرف.. كان المهندس مهدي المؤذن قد نبهني الى هذه الفلاحة المشهورة في الخالصة وهو يحدثني عن الزراعة باعتبارها مهنة عائلة.. أي مهنة تعتمد على عمل مشترك من أفراد عائلة الفلاح.. كل بحسب طاقته وخبرته وظروفه.. أدركت دقة هذا التعبير حين جلست استمع الى حديث شارك فيه أربعة: ام اشرف وزوجها حلمي، وصديقان للزوج هما حمدي، ومصطفى..

ان قصة بيت حلمي عبد العليم مشهورة بين أهالي القرية باعتباره بيتاً تلعب فيه الزوجية دور البطولة ذلك ان حلمي لم يكن فلاحاً وانما مهنته الأولى هي نجار مسلح، وهي مهنة لا علاقة لها بالزراعة من قريب أو بعيد..

الفلاحة كانت زوجته..

وزراعة هذا البيت بالذات مشهورة بوفرة الإنتاج.. وهي أولاً – شهادة لأم اشرف.. فلاحة من عرب بلبيس بمحافظة الشرقية..

وحين حصل حلمي عبد العليم على جائزة تقديرية للإنتاجية.. قال أهالي القرية على سبيل المداعبة انه تسلم الجائزة، نيابه عن ام أشرف..

والجميل ان حلمي يوافقهم تماماً ودون عقد، على ما يقولون.. كانت الانتاجية الجيدة تنعكس على الدار: ثلاجة كبيرة وتليفزيون وطباخ وأثاث تمّ تجديده وستائر جميلة ومراوح سقفية ومدفأة غازية..

لاحظت ان حلمي يتحدث دائماً بلغة الجماعة فيقول مثلاً: سيطرنا على الأرض.. وكان انتاجنا وفيراً من الارض.. وزرعنا الارض..

كان حريصاً على ان يحتفظ لزوجته بحقها.. وفي غيبتها وهي تعد الشاي قال: ام اشرف لا تقل قدرة وفهماً للزراعة عن أحسن فلاح في القرية..تتطلع الى نجاح زراعتنا وغيورة على عملها.. وهي تبْقى في الحقل وتبذل مجهوداً مضاعفاً حتى يكون انتاجها أعلى من إنتاج غيرها.وقال بافتخار: لقد جعلتني احب الارض.. وبرغم حصولي على دورة سياقة جرار بدرجة جيد جداً.. إلا انني لن أترك الارض لأي سبب..

روى لي حلمي خلاصة حياته في إيجاز: قال: لم يكن لي علاقة بالزراعة، ولتحسين ظروف حياتي سافرت الى عدد من البلاد العربية للعمل وكسبت ولم أدخر شيئاً لمستقبل أولادي.. وعندما سمعت بمشروع الخالصة قررت ان أجرب الزراعة، وشجعني ان ام اشرف ستكون الى جواري وقد شجعتني على التقدم بطلب تمت الموافقة عليه.. ان ام اشرف فلاحة عربوية تعجبك..

في البداية كانت الارض مستعصية بسبب الملوحة الزائدة.. سيطرنا على المشكلة بالعقل قررنا زراعة الجزء شديد الملوحة بالباميا وزرعنا اللوبيا في الارض الجيدة.. وكانت النتيجة انتاجية عالية..

لقد ساعدتني زوجتي وجيرتي وأصدقائي في تعلم الزراعة مثل حمدي ومحمود الجزيري وعبد الجواد لهذا زاد دخلنا من الأرض في السنة الثانية من الزراعة الصيفية على ٥٠٠ دينار.. لقد قررنا ان نتخصص في زراعة الخضروات الصيفية التي تعطي ناتجاً أكثر من الزراعة الشتوية.. وان أزرع بصلاً بين الفصلين.

كان قد طرق باب ام اشرف أكثر من ضيف من أهل القرية.. حمدي عبد الفتاح هو أقرب اصدقاء حلمي وهو عضو نشيط في الجمعية التعاونية.. ويبدو انه صاحب فكرة التخصص في زراعة الخضر فقد شرح نظريته على الوجه التالي:

- الزراعة الشتوية لا تحتاج الى مجهود.. بينما الزراعة الصيفية تحتاج الى جهد الفلاح وتعطي عائداً أكثر وأوفر.. وليس معنى هذا النظام أننا نتمتع بوقت فراغ.. أبداً.. بين الصيفي هناك زراعة بصل يتبعها تجهيز الارض للزراعة..

الآن نخلع البامية من الارض وبعد شهر واحد تبدأ زرعة الصيف.. ولإعداد الارض.. والتربة عندما ترتاح تعطي ناتجاً أكبر..

كنت اعلم ان حلمي هو من أوسع أهل القرية انتشاراً بين القرى العراقية المجاوره.. سألته عن السبب..

قال: حين مرضت وانتقلت الى المستشفى زارني عدد كبير من الجيران العراقيين.. كانوا يضعون تحت مخدتي هدايا مالية، على سبيل المجاملة.. وحين شفيت كان الواجب يقتضي ان أرد المجاملات.. هكذا توثقت علاقاتي بعدد كبير من الفلاحين العراقيين ونحن نتزاور في المناسبات السعيدة والأعياد وبدون مناسبات.. ثم اردف: نحن عرب..

حين دخلت علينا ام اشرف ببراد الشاي وحوله الأكواب استقبلها اصدقاء زوجها بكلمات الترحيب على سبيل تعريفي بها..

قال واحد: فلاحة الخالصة المثالية..

وقال آخر: هدفها ان تتفوق على المتفوقين.. جيران زراعتها فلاحون ممتازون مثل ابراهيم بسة وعبد الجواد.. وهي تتفوق عليهم..

ابتسمت ام اشرف في حياء طبيعي وبدأت حديثي معها وسكت الحاضرون..

من مركز بلبيس- شرقية تمرست في الزراعة فهي من أسرة فلاحين.. لها سبعة إخوة يعملون بالزراعة.. بعبارات سليمة وراءها عقل منظم.. قالت:

سبب وجودي في الخالصة، الزوج والأولاد.. المرأة مع زوجها واولادها..

قلت لها: كيف سمعت بالمشروع؟

قالت: قالوا لنا في العراق قرية موجودة للمصريين وبيت وفرش وعشرون دجاجة وثلاث غنمات وبقرة سمعت ذلك من الناس والجرائد..

مستقبل اولادنا دفع زوجي الى التفكير في الانضمام الى التجربة وشجعته.. كانت الفكرة حسب ما فهمنا ان الخضروات في العراق عليها طلب شديد ونحن نستطيع ان نساهم في زراعتها..

سألت ام اشرف: كيف تواجهين العمل على ارض صعبة باجماع الرجال الذين تحدثت معهم؟ قالت: في الصيف اطلع من الساعة الخامسة صباحاً وأعود بعد المغرب.. وحين اكون وحدي استطيع جمع حوالى مائة كيلو بامية او باذنجان.. اذا كان حلمي معي نجمع الضعف.

المساء عادة أقوم بأعمال البيت وافرغ نفسي في اليوم التالي للبيع في السوق..

سألتها عن تجربتها كبائعة لمنتجات ارضهم من الخضروات..

قالت: المعاملة طيبة جداً.. وفيها تشجيع ونحن نعاملهم بالمثل ونزيد الوزن ولا نبيع الا بالتسعيرة الرسمية.. ونظامي في البيع هو سوق ديالى أوائل الصيف، وفي منتصف الصيف أبيع في الزعفرانية.

وأجابت ام اشرف بالأرقام حين سألتها عن لوازم الدار التي استطاعت اقتناءها..

بثمانين ديناراً مروحة سقفية وجهاز تسجيل وراديو ومدفأة ودولاباً وجددت فرش الاثاث..

سألتها: هل أنت مرتاحة؟

قلت بثقة: الآن معاملتنا مع بعض أصبحت حلوة ونشأت صداقات حقيقية بين أهل القرية..

قلت: وبالنسبة للجيران العراقيين؟

قلت: اصبحت اللهجة سهلة جداً وأخلاقهم طيبة ناس عرب يتعاملون معك معاملة الاخ لاخته..

واستطردت ام اشرف لتعود هي بالحديث الى الإنتاجية..

قالت: اول زرعة، كان ابو اشرف في المستشفى وكنت حاملاً فلم نزرع عشنا على الراتب الشهري.. ثاني سنة استلمنا ١٨ دونم زرعنا خمسة منها لوبيا وخمسة باذنجان وأربعة بامية وثلاثة خيار عدروس، واشترينا في ذلك العام بقرة إضافة الى بقرة سلمتها لنا الحكومة..

هذه السنة زرعنا خمسة دونمات بامية، ٣ خيار وخمسة لوبيا وخمسة باذنجان.. ومن التساهيل ان بناية المدرجة القديمة تقع وسط ارضنا فما كان منا الا أن انتقلنا اليها بأولادنا ولوازمنا في الصيف الثاني والثالث لتكون بجوار زراعتنا.. حظنا حسن واطمئني من جهتنا..

صممت ام اشرف على الوفاء بتقاليد الكرم الشرقاوي وقامت باعداد فطيرتين من الفطير المثلثت حتى لا أخرج من دارها بيد فارغة، كما قالت باسمة..

* * *

كان كأنه ينتظر دوره في الكلام بينما ام اشرف تتحدث..

مصطفى علي محمد من محافظة بني سويف.. يزرع ارضاً مساحتها ثلاثة وعشرون دونماً ويميل الى زراعة الخضروات..

كان مصطفى وهو فلاح جيد بشهادة الجميع يريد ان يضيف شيئاً الى الحديث الدائر منذ طرق الباب وجلس واستمع..

تحدث عن الرعاية الصحية. قال إنها جيدة.. هناك فحوص دائمة وعناية

حقيقية بالإنسان.. وروى تجربته.. كيف كان مصاباً ببلهارسيا مزمنة وكيف عولج منها..

لقد جذبت التجربة الشخصية اهتمام مصطفى الى الخدمات التي يكفلها المشروع لأهل القرية.. فوقف طويلاً عند مشروع محو الامية والتعليم والمواصلات..

وانتهى من حديثة الى تلخيص المشاكل جميعها في عبارة واحدة.

قال: كل شيء جيد والمشكلة المستصعبة حتى الآن هي سائق الماكينة الزراعية..

مع بداية تجربة الخالصة تعرفت على فتحي منسي، فلاح من الجعفرية- شرقية سمعت عنه كثيراً في بيوت الخالصة.. باعتباره شخصية لها وزنها.. يخدم الناس في صمت.. يثق الفلاحون في رأيه له قدرة على حل الخلافات.

أول مرة استقبلني على باب داره.. نادى على زوجته وكانت مشغولة في المطبخ.. هادي الأعصاب جداً، يتحدث بترتيب.. ينفذ الى الحقائق ببساطة. في زوجته، رغم انها تخطت الاربعين، براءة طفلة.. كانت معترضة على الرحيل الى العراق ولكنه اقنعها بسهولة.

صمم فتحي منسي وزكية أحمد على ان يدور حديثنا حول طعام..

هو عضو منتخب في الجمعية التعاونية، وواحد من ثلاثة هم ديناموالخالصة.

وقال فتحي منسي: لا أزور مصر الا بعد ان اطمئن على رسوخ التجربة..

هذا حديث رجل مسؤول رغم مظهره البسيط.. ومن خلال حديثه عرفت السبب.. كان له دائماً نشاط تعاوني في قريته..

السبب الذي يضيفه فتحي منسي هو ان استقبال العراقيين للفلاحين المصريين جعله يتأمل، في الأيام الاولى لوصوله الى العراق، التجربة بروح جديدة.. وقرر ان يرد على العواطف الحارة بخدمة التجربة مهما كلفه ذلك من تعب..

هكذا رشح نفسه في انتخابات الجمعية التعاونية ونال ثمانية وتسعين صوتاً..

عرف فتحي منسي عن مشروع انتقال عائلات فلاحين مصريين الى العراق من

مهدي شومان، امين الفلاحين اقتنع بالفكرة وقدم الطلب وأقنع زوجته، وبعد اسبوعين من وصوله الى الخالصة كانت حياته الجديدة هي استمرار لحياته في الجعفرية.. عمل متواصل بين الأرض ومقر الجمعية وبيوت الفلاحين والاتحاد العام للتعاونيات.. وهو في حديثه يلخص شخصياتهم في عبارات موجزة مفيدة.. ويتجه في حديثه الى ما هو طيب في الناس وطيب في التجربة...

سألته: لماذا لم تحدثني عن السلبيات... لقد سمعت عنها من غيرك.

قال: السلبيات الى زوال.. وكلمة سلبيات خطأ لأن كل ما حدث طبيعي... اول تجربة لا بد ان يكون لها هفوات.. شيء تأخر.. شيء نسيناه.. شيء يحتاج الى وقت بطبيعته.. الزراعة مثلاً.... بدأنا على ارض تم اعدادها على عجل... مساحة محدودة.. زرعناها متأخرين.. دخلت الحرارة على البطيخ وبعنا ما جمعناه منه بسعر منتصف الموسم.. رخيصاً ولكن الخضروات جاءت بالتعويض...

الخطوة الثانية جاءت في الشتاء.. أرض مستصلحة بدقة أكثر المساحة كبيرة: ١٥ دونم للأسرة المكونة من أربعة أفراد فأقل و ٢٠ دونم للأسرة المكونة من خمسة فأكثر التأخير في الزراعة الشتوية أقل... والنتيجة تقدم كبير...

في الصيف لم يكن الناس قد تعارفوا كفاية...

في الشتاء تعارفوا أكثر..

الآن لا مصاعب ولا غربة.. دارت العجلة في البيت والغيط والجمعية...

في كل مكان يستقبلنا الناس بترحيب شديد في بغداد سواء في اتحاد التعاونيات او في السوق.... في النجف وكربلاء حين نزور العتبات المقدسة.. ولنا الآن جيران عراقيون من الفلاحين تربطنا بهم صداقة وأخوة.

يقولون هنا: تموز تسيب المية من الكوز وآب يسيب المسمار من الباب...

هذا صحيح ولكننا احتملناه لأننا من مصر ولسنا من اوربا... الأرض خصبة تحتاج الى الفلاح الذي يخدمها... والناس مرتاحون الآن. في البداية كانوا غير متعارفين... الآن اصبحوا منسجمين.. اختفت الخلافات... وكانت بسيطة.. نحن

في الخالصة من تسع محافظات مختلفة تضمهم الآن قرية واحدة والنتيجة جيدة جداً... الهدوء يسود القرية كما ترين.

كانت زكية أحمد زوجته... تشارك في الحديث بكلمات قليلة غالباً ما تكون تأكيداً لكلام زوجها... وحين جاءت بالشاي وأدواته انطلقت في حديث سعيد..

كان التنور العراقي مشكلة بالنسبة للفلاحات... الطريقة غير الطريقة.. أحضروا لنا عرصة وخبزنا... نشتري الطحين بالشوال والشاي بالكيلو والسمن بالصفيحة.

سألتها: هل تذهبين الى مركز الثقافة؟

قالت: أنا وحدانية... ولا استطيع...

سألتها: متى تزورين مصر وتعودين؟

قالت ضاحكة: رجلي على رجل فتحي... خمسة وعشرين فلاحاً سافروا وعادوا ولكننا نحن نسافر آخر الناس.. معا..

كيف يسافر فتحي ويتركني وحيدة؟

* * *

ظل انطباعي عن فتحي منسي طوال ترددي على القرية ثلاث سنوات انه فلاح تعاوني بكل معنى الكلمة. وان شعوره بالمسؤلية تجاه التجربة هو أهم صفاته سواء أكان رئيساً للجمعية او عضواً نشيطاً بها لهذا كان لا بد من حديث جديد معه بعد عامين من حديثنا الاول...

قال لي فتحي منسي ان كل شيء في الخالصة يؤكد أن أهلها يشعرون بالاستقرار.. كل بيت يجمع شمل أفراد الأسرة.. البنات يتزوجن، ومن له ابن او بنت أو أخ في مصر أحضره.. او هو يسعى لإحضاره بعد ان استقر.. رمضان تزوج وله الآن بيت وغيط وبقرة...

علي ابو شريف احضر ابنته وزوجها ويسعى لحضور نسيبه شقيق زوجته.

محمد شوق بعد ما غاب سنة في مصر عاد.. ووافق أبو دلف على حصوله على بيت وارض....

احمد أبو قمصان احضر ابن عمه وحصل على بيت وأرض وبقرة...

سألت فتحي منسي: هل امتد نشاطك الى تسمين العجول؟

أجاب: الثروة الحيوانية ترتبط بالزراعة.. لهذا دخلت مجال تسمين العجول بشكل طبيعي وهذا أيضاً دليل استقرار... لأن الفلاح لا يفكر في مشاريع الا وهو مطمئن...

فتحي منسي لم ينزل الى مصر منذ وصل الى العراق... احساسه بالمسؤلية مرهق بشهادة الجميع وهو حين يقول إنه لن ينزل الى مصر للزيارة الا بعد النجاح الكامل للتجربة فهو صادق...

واستطرد في حديثه عن معالم الاستقرار...

قال إن العلاقات الوطيدة والواسعة بين أهل الخالصة وجيرانهم من الفلاحين العراقيين، وعلاقاتهم بالسوق سواء في بغداد أو في النواحي القريبة من القرية... تؤكد ان الحياة تسير سيرها الطبيعي لان العلاقات الاجتماعية وخاصة الصداقات لا يعقدها الانسان وهو في قلق وانما يعقدها وهو مستقر.... سألته عن تجربته الشخصية في عقد الصداقات...

قال: من التعامل في السوق.. تبدأ المسألة.. ببيع أو شراء ثم تتحول الى صداقة.. صديقي حسن قومسونجي في سوق الخضار، وردت له خضاراً وتعارفنا وصارت صداقة.. يزورنا ونزوره.... من العمل في الجمعية التعاونية المشتركة تعرفنا على جيران من الفلاحين... عزمونا في فرح ولبينا وسألته عن تقاليد الفرح العراقي الريفي...

قال قريب جداً من الفرح في ريف مصر... في البداية يقدمون مائدة طويلة للجميع... وبعد تناول الطعام يبدأ الاحتفال.. رقص من الغجريات مثل الغوازي عندنا ونقوط... في الأعياد والمواسم تتحرك وفود المعايدة من الخالصة الى قرية

الجيران وبالعكس...

تحدث عن الجمعية التعاونية للقرية حديث خبير..

قال إن الجمعية تقوم بتسويق الإنتاج كله ما عدا الخضر لان الفلاحين يحبون بيعها بأنفسهم....

قال إن الجمعية وردت من الشعير فقط في موسمين أربعمائة وستة وأربعين طناً... وتحدث عن تجربة زراعة القطن التي أقدم عليها بعض أهل الخالصة بتشجيع من المهندس مهدي المؤذن... وكان انتاج القرية منه في العام الماضي ألفاً ومائتي قنطار... لذلك قرر عدد أكبر من الفلاحين زراعة القطن هذا العام أيضاً...

سألته عن السبب في زيادة ديون الجمعية التعاونية. أجاب حاجة الأرض الى المزيد من الاصلاح والسماد وقد وصلنا الى تخفيض ملوحتها الى خمسين بالمائة مما كانت عليه في بداية التجربة وقد صدر قرار مجلس قيادة الثورة العراقي باعفاء الفلاحين من ديون الموسمين صيفي ٩٧٦ وشتوي ١٩٧٧/٧٦.

عاد بنا الحديث مرة أخرى الى المحاصيل.

قلت سمعت انكم زرعتم البطاطا الحلوة وكان سوقها رائجاً.

ضحك وقال: حكاية البطاطا ان بذورها جاءت من مصر مع الجزيري ومنه انتشرت في القرية... وبعناها بسعر الكيلو ١٥٠ فلساً، في الزعفرانية أول الأمر ثم في بغداد.. أقبل عليهم الفلسطينيون ثم العراقيون الذين تذوقوها من قبل في مصر.. الملوخية بعد ان تذوقها ضيوفنا من الفلاحين العراقيين طلبوا بذورها وزرعوها.. ومن هنا انتشرت في السوق.

كذلك انتشر الفجل المصري والكوسة المصرية، الشتوية والصيفية وقد ذاع صيتها لان بذورها تطرح الثمر مباشرة بينما الكوسة العراقية تحتاج الى تلقيح كل زهرة على حدة.

فتحي منسي له ثلاثة ابناء.. احدهم في الثانوية العامة بالقاهرة.. اما منسي ومحمد فهما بمدرسة القرية إضافة الى شهرتها في مساعدة والدهما في الزراعة.. قال لي

فتحي منسي بفخر: محمد ومنسي يعملان في الغيط أحسن من فلاح عمره خمسة وعشرون سنة عندهما طموح..

مثل أبيهما.. يعتبران ان الشعير هو زراعة الكسلان.. اما الخضر والقطن.. فهي محاصيل الفلاح الأصيل.

سمعت عن ام شادية من كثيرين.

كانوا يضربون بحالتها المثل على تمسك الفلاحين بالتجربة وشعورهم بالأمن والاستقرار حين التقيت بها.. كان قد مضى على وفاة زوجها ثمانية شهور.. وهو حالة الوفاة الوحيدة في القرية.. وتوقعوا وقتها أن أم شادية سوف تشد رحالها وتعود بعد أن فقدت زوجها. استقبلتني منيرة عبد المنعم على باب دارها.. صعيدية صميمة من الصعيد «الجواني» فهي من عزبة حسان محافظة قنا.. شديدة السمرة على وجهها مسحة حزن لا تخفيه بسمة الترحيب..

بعد وفاة زوجها كانت تتوقع أن يفاتحها المسؤولون.. في العودة..

لم يفاتحها أحد.. وبدأت تفكر بالامر بالتشاور مع زوج ابنتها شادية التي تزوجت في الخالصة من الفلاح عبود محمد..

أصبح مصير أم شادية قضية اجتماعية لأهل القرية جميعاً.. وانتصر الرأي الذي قال ببقائها بجوار أرض زوجها وابنتها.. كانت المشكلة ان أكبر أبنائها لم يبلغ سن الرشد بعد ولا يصح أن يملك أرضاً حسب الاتفاق.

تحولت الارض إليها..

قالت لي ام شادية: كيف اترك ابنتي وزرعتي وبقرتي.

أرسلت إلى الأهل في عزبة حسان بذلك.. وجاءها الجواب بالموافقة.. قالوا لها في رسالة العزاء ان قرارها سليم.. والبلد واحد والزيارات تقرب المسافات..

هي ام ثلاث بنات وثلاثة أولاد.. شادية تزوجت في الخالصة.. وحسن وصباح واحلام في مدرسة الخالصة.. وولدان في البلد يساعدان عمهما في الزراعة..

كان انتاج محصول الشعير من أرضها أعلى إنتاجية في القرية.. وذلك بفضل



الفلاح حماد حسن مسعود

تعاون الناس في زراعة أرضها وخاصة زوج ابنتها وأخيه عبد العال.. ولكنها تعمل في الأرض هي وصغيرها ابن السنوات العشر.. حسن..

كانت تتحدث باطمئنان.. وتحس بأن القرية تحتضنها بحنان..

لقد أحببت الارض والمكان والناس والعواطف الإنسانية التي أحاطت بها في المحنة.. لذلك فإن على وجهها مزيجاً من مشاعر الحزن والرضا والتفاؤل.. والثقة..

دعاني زوج ابنتها الى كوب شاي بداره.. وصحبتنا ام شادية.. وفي الطريق الى الدار لحق بنا اخوه عبد العال.

كانت جلسة عائلية دافئة.. جمعت بين ام شادية وحفيدها ممدوح وابنتها وزوج ابنتها واخيه وزوجته.. الذي تزوج أيضاً من بنات الخالصة، ففتحا بذلك أول أفراحها منذ ثلاثة أعوام. أدركت معنى قرار ام شادية، وفهمت لماذا تستقر الثقة على ملامح وجهها الطيب..

عبود محمد علي- زوج شادية- من مركز طهطا محافظة سوهاج..

من أسرة فلاحين كبيرة العدد قليلة الارض.. لهذا كان عبود على سفر دائم يعمل في الأقطار العربية.. ويبعث الى أهله بما يستطيع ادخاره.. وحين سمع عن مشروع الخالصة عاد الى مصر وتقدم بطلب هو واخوه عبد العال.. وتمت الموافقة على طلبيهما شرط أن يتزوجا، وبالفعل نجحا في عقد أواصر صداقة مع عائلات لها بنات في سن الزواج..

هكذا تسلم عبد العال وعبود ارضهما وأقاما بيتين من بيوت الخالصة الطيبة، التي تحافظ على تقاليد أهل الصعيد.. الأصول تحكم العلاقات والأفعال.

هما بيتان كادحان طيبان لا تصدر عن أهلهما شكوى ولا إساءة.. هكذا حدثني مدير المدرسة صلاح محسن.. كاتم الاسرار..

أحاط الجميع بأم شادية.. أدركت انها قد اصبحت عصب هذه الأسرة الجديدة وأنها بينهم في أمان..

كان عبد العال يتحدث بينما يؤمن عبود على كلامه.. باعتباره الأخ الاكبر الذي لا يجوز الحديث بينما هو يتحدث..

قلت لعبد العال محمد: حدثني عن قصتك مع أرض الخالصة..

قال: في البداية زرعنا في أرض محدودة المساحة وبطريقة جماعية كل عشرة في قطعة أرض.. واتكل الناس بعضهم على بعض ولم تكن الارض قد تم اصلاحها.. زرعنا بطيخاً.. ورضينا بما أعطانا الله منه في ذلك الموسم.. ولكن كان هناك الراتب وكان هو الأساس في دخل الفلاحين وقتها..

بعد ذلك حصلت- أنا وأخي عبود- على قطعتي ارض مساحة كل منها خمسة

عشر دونماً باعتبارنا من الاسر الصغيرة العدد.. وزرعنا الشمام والخيار والبطيخ واللوبيا والبامية والباذنجان لقد عرفنا طبيعة الارض.. الحلوة نزرعها ما ينفع في الارض الحلوة، والمالحة نزرعها ما ينفع في الأرض المالحة.. وأقولك الحقيقة.. الارض واصلاحها تحتاج إلى وقت وجهد.. والنتيجة الآن جيدة وان كانت الارض ما زالت بحاجة الى جهد المهندسين معنا للتغلب على عدم الاستواء وعلى الملوحة.. رغم أن الحال كما قلت الان.. احسن بكثير من البداية

ثم أضاف:

- واين هي الارض السليمة مائة في المائة؟

لو كانت هناك أرض لا تحتاج إلى عمل الفلاح عليها باستمرار.. لأصبح وجود الفلاح نفسه بلا جدوى.

الفلاح موجود ليصلح في الأرض عاماً بعد عام، وموسماً بعد موسم.. وهو يعمل، والزرع نفسه يعمل، والماء يعمل والسماد يعمل، وأدوات الاصلاح تعمل والمهندس يعمل أيضاً..

ما زال عبد العال يذكر تلك الأيام التي يراها أجمل أيام عمره.. شيئاً كالحلم.. كان ابو دلف- كريم الجاسم رئيس الاتحاد العام للجمعيات الفلاحية التعاونية هو الذي قرر أن يسافر بعض العزاب- تجاوزاً- على أن يتزوجوا في الخالصة وكان عبد العال أول من اختار عروسه من بين جيرانه.

قال: كتبنا في بغداد في مقر الاتحاد نفسه.. وجاء ابو دلف وأشرف بنفسه على إقامة الفرح باعتباره أول أفراح الخالصة..

لاحظ عبد العال صمت أخيه عبود.. حين سألت عن الإنتاجية..

قال عبد العال: اشرح يا عبود إنتاجية الارض.

قال عبود: أول موسم كان تجربة..

ثاني موسم بعد استلام الارض كان دخلي من الشعير والبرسيم ٢٠٠ دينار ومن الخضروات مائة.. السنة الماضية كسبت من الشعير مائة وخمسين ديناراً ومن البرسيم



أبو أحمد قمصان

مائتي دينار ومن الخضار مائة وخمسة وعشرين ديناراً..

هذه السنة.. الزرع أحسن والإنتاجية- إن شاء الله- ستكون عالية

سألته عن أسباب التطور في الإنتاجية..

قال: كانت المبازل في منتصف الارض، الان وبعد التقسيم الجديد زادت المساحة لأن المبازل على حدود الارض.. كما أن زراعة الموسم، تصلح الارض للموسم التالي وهناك عملية الاستصلاح المستمرة، إن الارض يتم غسلها وتسميدها.. في كل زرعة.. لذلك تأتي كل زرعة أحسن من الزرعة السابقة عليها.

وأضاف: كما أننا نختار.. ما ينجح من الزرع نزرعه ونتوسع فيه.. ما ينجح وينفع الناس.. نزرعه..

ماذا كنتم تزرعون في البلد؟

القطن والسمسم والطماطم والبصل والثوم.. هنا زرعنا القطن ونجح..

حدثوني- جماعة- عن الجديد في بيوتهم.. الراديو والمسجل والتلفزيون..

ولاحظت أن جدران الغرفة مزدانة بصور شتى..



أبو أحمد قمصان

وقفوا جماعة يتسرحون.

صورة الإمام علي وأولاده.. اشتريناها من بغداد بدينار وربع.. وصورة أمنا حواء وأبينا آدم، وهذه الشجرة والحية حول جذعها..

وكانت على الجدار صورة مشتركة للرئيس البكر والرفيق صدام حسين..

* * *

التقيت بها أول مرة في المركز الصحي.. وكان ذلك منذ عامين.

« نحيفة سمراء دقيقة الملامح، لها الملامح الاصولية لبنت الصعيد، تحمل طفلة في شهورها الأولى.. ».

ولم تكن باسمة بل كانت تنبه في حدة ملحوظة، معاون المركز الى أن يناديها بأم احمد وليس باسمها المجرد.. « عترة »..

قال لها: وكيف اعرف ذلك واسمك في الكشف أمامي « عترة ».

قالت: هاقد عرفت.

اقتربت منها لأتجاذب معها الحديث، عادت البشاشة إلى وجهها ودعتني الى الدار. في ساحة الدار لفت نظري حصان وحمار فضحكت وسألتها:

قالت: الحمار ركوبة الى الحقل ولكن الحصان زينة « لا يخض ولا يحلب ».

واطلعتني على خلاف في الرأي بينها وبين زوجها حول الحصان.

- عمك أبو أحمد اشترى الحصان والحمار.. ما قيمة الحصان؟

زينة.. لو اشترينا بهيمة « تخض وتحلب كان احسن »

قدمت لي نفسها « عترة عطية » من محافظة قنا عمرها ٣٠ سنة- زوجة لصالح عبد الرحيم السعودي ولها منه احمد، خمس سنوات، أما أشواق فهي بنت شهور وقد سمتها كما قالت لي تيمناً باسم أشواق التي تعمل في مكتب رئيس الاتحاد..

زوجها ظل يعمل بالفلاحة حتى مات أبوه.. لان ما تركه الاب من الارض كان محدوداً جداً بينما الورثة كثيرون، فقد نزح بها زوجها الى القاهرة..



أم أحمد والطبيبة العراقية

أين عشت في القاهرة..؟

- في شارع جمال عبد الناصر «شخصياً» بالخارطة الجديدة أمام عزبة الصعايدة.. اظن تسمعين عنها.

- كيف سمعت بالمشروع.

- من زوجي ابو أحمد.. وهو سمع من الدولة.

- من الجرائد؟

- نعم والاذاعة.

- هل كنت تمارسين الزراعة.

- نعم كنت أساعد زوجي في الارض.. في الأعمال الخفيفة مثل جمع الباميا واللوبيا.

- وماذا كان رأيك؟

- قالت: هناك امة واحدة.. عراقي مصري واحد.. حاربوا معاً وبينهم سؤالات.. (و «سؤالات» معناها حوار بين اصدقاء ولغة مشتركة)

سألتها عن الارض والمناخ والناس.

قالت أم أحمد ان الارض جيدة ولكن تحتاج إلى عمل ورعاية وأن دواءها الإنتاج نفسه وهي تسمي الإنتاج «الخير» وقالت إن الارض كالطفل كلما نال رعاية أكثر اشتد عوده أسرع.

سألتها: هل تحملت حر الصيف وبرد الشتاء؟

قالت: خلق الله السماء واحدة والفرق في المناخ ليس كبيراً بين مصر والعراق..

سألتها عن ابناء العراق وكيف عرفتهم؟

قالت: لا أقول في حقهم الا الخير.. استقبلونا استقبال الأهل وقدموا لنا البيت والأرض وكل ما يحتاج اليه البيت والحقل.

- لماذا لم تشتروا بقرة؟

سيقدم لنا المشروع بقرة جيدة.

حلم أم أحمد ان يدخل ابنها المدرسة في العام القادم.

وأن تعطي زرعة الشتاء خيرها لتزور أهلها وتعود.

ومن أسباب سعادتها عناية مركز الثقافة الريفية بالفلاحات حيث تتلقى الآن دروسها الأولى في القراءة والكتابة.. والحياكة..

كان فراق الأهل على أم أحمد صعباً.. ولكن الرسائل المتبادلة تخفف حدة الشوق وهناك أمل أكيد في زيارة خاطفة الى مصر من خير زرعة الشتاء وتخشى أم أحمد أن يحرمها عملها في الحقل وقت الحصاد من متابعة دروسها في مركز الثقافة.. لقد تعلقت بأبلوات كما تسمي الفتيات العراقيات العاملات بالمركز..

طوال الحديث كان عم أحمد في حركة دائبة بين حديقة البيت وحظيرة البهائم.. وحين انتهى حديث زوجته تدخل ليضع لمسات جديدة على الصورة.. رحب بي قائلاً:

مرحباً بك في كل وقت.. وإذا لم اكن موجوداً فإن ام أحمد فيها الكفاية.

قلت لصالح عبد الرحيم السعودي.. من محافظة سوهاج:

كيف سمعت عن مشروع عوائل الفلاحين المصريين بالعراق..؟

- قال بايجاز: وصل أبو دلف وسمعت عن المشروع من الناس والجرائد.. وان الخالصة بالنسبة لنا (بيت وغيط وحقل) وسراير وستاير.. وعرفت من زملائي الصعايدة أن أرض العراق فيها اتساع..

كيف وجدت الناس في العراق؟

- أهلنا.. استقبلونا بحرارة وفرح من القلب.. وفروا لنا كل ما يلزم مناخ حياتنا.. ولهم صبر أيوب في الاستماع الى الطلبات والاقتراحات..

سألته عن الأرض وعن الفنيين العراقيين الذين يتعامل معهم..

- رجال طيبون.. يساعدون. الباشمهندس مهدي يساعد الفلاح بنفسه.. ينزل الأرض.. الأستاذ داود يعمل بيده في الغيطان.. الاستاذ جاسم هو دينامو الخالصة.. ولي صداقات مع جيران فلاحين عراقيين.

سألته عن الأرض.. فامتدحها.. قال إنها ارض طيبة بها بعض الملوحة ولكن الخدمة كفيلة بتحسينها لأنها قوية وغنية..

واستطرد صالح السعودي:

- احببت المكان.. بنيت فيه.. جمعت للحظيرة حصوة من هنا وحجراً من هناك وبنيتها بدلاً من الحصير.. ولقد عملت فترة من حياتي في البناء وهذه اول مرة أبني شيئاً يخصني.. كيف أترك ما بنيت؟

في حديقة داره زرع أبو أحمد شتلات طماطم وباذنجان وفلفل، وفي نيته أن يزرع أشجار فاكهة..

وختم صالح عبد الرحيم حديثه وهو يتناول من أرض الحديقة حفنه من تربة بنية اللون خشنة:

- ارض عفية.. المساحة التي زرعناها خضراً في الصيف نما فيها الشعير بارتفاع قامة رجل وهذا دليل على أن الارض ستجود بالخير كلما تلقت مزيداً من الخدمة.

بعد عامين من ذلك الحديث.. دخلت لزيارة الزوجين كانت الأسرة قد انتقلت الى دار جديدة..

كان عم صالح قد بني بالطوب اللبن فوق اسوار البيت جزءاً جديداً جعل البيت شبيهاً جداً ببيوت القرى في جنوب مصر.. الفتحات الضيقة وسط الاسوار التي تشبه خلايا النحل مكبرة..

استقبلني مرحباً وهو يعاتبني على الغياب..

أجابت أم أحمد نيابه عني: لقد زارتني وانت مسافر الى القاهرة..

قلت لها: واضح أن أبا أحمد قد عاد من القاهرة محملاً بالهدايا إليك..

كانت أم أحمد تحلى ولأول مرة بكردان من الذهب، مصمم على شكل اسطوانات ذهبية متجاورة وقرط ذهبي على شكل مخروطة تماماً كما ترتدي الفلاحة المصرية في عرسها..

ابتسم أبو أحمد لملاحظتي وقال: ذهبت الى مصر وحيداً لزيارة الأهل..

زوجت ابني اشرف وأكملت بناء بيتي حتى يعيش به مع عروسه.. ورجعت بسرعة الى بغداد..

سألته عن الفرس التي اشتراها في السنة الاولى

قال: بعت الفرس.. وأخذت برأي أم أحمد ان البقرة ابرك من الحصان. الذي لا يخض ولا يحلب..

سألت ابو احمد عن تطور زراعته من السنة الاولى وحتى الآن.

قال: في البداية كانت نسبة الملوحة في الأرض مرتفعة والآن استصلحت وأصبحت حلوة ينقصها اشياء بسيطة وهي أرض تخرج ذهباً إذا خدمت واستصلحت تماماً..

مشاكلنا مع الارض الان تختصر في قلة خبرة سائقي الماكينات وعدم قدرتهم تماماً على تنفيذ تعليمات مدير المشروع..

في الموسم الاول زرعنا البطيخ والخضروات زراعة جماعية، وكان عائدها قليلاً، الا أن الارض كانت مالحة.. في الموسم الثاني حصلت على ١٥ دونم وزرعتها برسيماً وشعيراً، ثم زرعت بامية وخياراً وباذنجان وملوخية. والموسم الرابع زرعنا برسيماً وشعيراً أيضاً، ثم زرعنا في الموسم الخامس والسادس كل ما ينتج على ارض العراق تقريباً. والان في الموسم السابع والارض مزروعة شعيراً وباقلاء.. (فول)..

سألته: كيف تطور دخلك؟

أجاب: لم تفدني الزرعة الاولى كثيراً، ولكن الزرعة الثانية غطت كل المصروفات وقد حصلت منها على ٣٠٠ دينار وهي أرض، الدونم الواحد بها يساوي في رأيي عشرين فداناً بعت منها برسيماً فحسب ١٥٠ دينار، ثم سافرت الى القاهرة. وعند عودتي وجدت ام أحمد قد باعت ما تبقى من البرسيم ٥٠ دينار أخرى.

- ما هي مشاريعكم.. هل تعمل خارج القرية؟

- الفلاحون الذين يعملون خارج أرضهم لن تستفيد منهم ارضهم ولن يستفيد منهم بيتهم لن اعمل في أي ميدان خارج الزراعة.

الأرض تحتاج الى رعايتي وسوف ارعاها..

أحب ارضي ولن اتركها لأنني مرتاح وبيتي ملآن، ولو جاءت طائرة لعجزت عن حمل ما في البيت..

دخلت أم أحمد وهي تحمل طفلة صغيرة سمتها فاتن.

قلت: لقد سميتما طفلتكما أشواق تيمناً باسم اشواق التي تعمل في مكتب رئيس اتحاد الجمعيات الفلاحية التعاونية..

هل لاسم فاتن قصة؟

أجاب ابو احمد: لا. ولكن اعجبني الاسم فسميتها به.

سألت أم أحمد: كيف تمت الولادة؟

قالت: جاءت الينا ممرضة مصرية تولد السيدات وتسجل اطفالهن وتتولى بنفسها كل الاجراءات الخاصة بقيد التوليد.

هل تذهبين الى فصل محو الامية؟

- نعم. نحن الان كالطير الاعمى، وعندما نتعلم سنرى.. اذهب الى دروس محو الامية خمسة أيام من الاسبوع، وتبدأ الدراسة من الساعة الثانية والنصف وحتى الرابعة..

تعلمت أن أكتب «حسن يزرع»، «راشد يزرع»، «حسن يعمل»، «راشد يعمل» الذي لا يزرع لا يحصد، كما تعلمت أن أكتب اسمي..

كانت المشكلة التي تمنعك من التردد على المركز هي الوقت ورعاية الاطفال في غيابك..

- كيف حلت هذه المشكلة؟

- دروس محو الامية هي دروس اجبارية ومع أن مشكلة الاطفال ما زالت قائمة، الا أن النتيجة التي ستأتي من التعليم أكبر من مشكلة ترك الاطفال في رعاية والدهم.. ونتيجة لذلك سأتعود على التردد على المركز وبعد أن تنتهي دروس محو الامية سأتعلم الخياطة والتفصيل..

شكرتهم وخرجت من الدار، وجهاز التسجيل الذي اشتراه أبو أحمد يبعث انغام ملحمة أبو زيد الهلالي سلامة، بصوت مطرب شعبي من مصر..

كم اسفت لأنني لم اتعرف على هذا الفلاح منذ بداية التجربة..

اسمه محمد موسى من محافظة بني سويف،

كان اسمه يتردد أمامي ولكنني لم اكتشف الا متأخراً انه من أحسن فلاحي الخالصة.

خلال حديثي مع المهندس مهدي المؤذن ضرب به المثل في أعلى إنتاجية وقال إنه مرشح للحصول على جائزة مالية..

لم اجد مشقة في الوصول إلى داره، رحب بي وجلسنا نتجاذب اطراف الحديث عن التجربة.. بدأت بالاعتذار لأنني لم اتعرف عليه من قبل ورويت له كيف ضرب به المهندس مهدي المؤذن المثل..

قال:

- بالطبع ان خدمة الارض تؤدي الى إنتاجية جيدة ان العمل على الارض.. والتفكير السليم في استغلالها هو مفتاح الفرج. لقد اكرمني الله في البرسيم والشعير، وإن كنت لم اوفق في الزرعة الصيفية، وكما قلت لك فإن السبب هو العمل والخدمة. تعبت في الزرعة الشتوية، وأكرمت الارض بالسماد، سواء من النوع الكيماوي او الطبيعي (الحيواني).

أنا لا أترك الارض دون عناية وفي الحقيقة فإن عامل الربح هو الاساس، ولكن اريد أيضاً اختبار هذه الارض ومعرفة الحد الاقصى لانتاجيتها..

لذلك لم انزل حتى الآن في زيارة الى مصر، كل الوقت للأرض..

قلت: هل تتطور إنتاجية الارض بالخدمة خلال السنوات الثلاث

قال أول سنة لم يعجبني إنتاجها، والسنة الثانية اعطيتها ما أردت من عمل وسماد.. وأستطيع الان القول بأن هذه الارض مع الخدمة والسماد والتصليح ستعطي أكبر إنتاج في القطر، والمشكلة الوحيدة هي كيفية الوصول الى ترويض سائق الماكينة..



الأرض والخير

سألته: هل ما زالت أرض الخالصة تشكو من الملوحة؟

قال: بعض القطع بها ملوحة والسبب هو انها ليست في مستوى واحد مع بقية الارض، والمياه لا تجري في العالي كما تعلمين، ولذلك تبقى بها الملوحة، بل تزداد لأنها تمتص من الارض المنخفضة ملحها.

قلت: هل تهتم بموضوع الثروة الحيوانية؟

قال: بالطبع. قدم لنا المشروع بقرة في العام الأول وفي العام الثاني كان عندي ثلاث بقرات وعدد من الاغنام والماعز، ولكن البقرات اصابها مرض فبعتها غير أني أربي عجولها حتى أغطي خسارتي استطرد محمد موسى:

ضعي في اعتبارك ان أسرتي كبيرة مكونة من سبعة أفراد فهي تمتص الدخل فلا تسأليني عن المدخرات اسألي أصحاب العوائل قليلة العدد..

سألته كيف سمع بالمشروع؟

قال: من الراديو. فهمت ان باب العراق مفتوح للفلاحين من مصر.

وقال في تصميم: لم اشعر هنا بفارق بين عراقي ومصري، كلنا اخوة عرب، وحين خرجت من مصر كنت مصمماً على العمل الجاد حتى تستفيد العراق، واستفيد أنا.

في البداية لم تكن الارض قد تم اعدادها وتحت إلحاحنا زرعنا بشكل جماعي في مساحات محدودة، الى أن استلمنا ارضنا في سبتمبر (ايلول) عام ١٩٧٦.

زرعت الارض موسمين: السنة الأولى استفدت من الشعير وكسبت ٢٤٠ ديناراً.

السنة الثانية انتجت الارض انتاجاً كبيراً باستثناء الخضروات. لان المساحة التي زرعتها خضراً كانت ملوحتها زائدة..

والارض الجديدة- حسب التقسيم الاخير- استلمنا في اكتوبر(تشرين اول) وخضرتها شعيراً.

سألت محمد موسى، عن الجديد في بيته؟

قال: منذ شهر زوجت ابنتي لولدنا رمضان وهو فلاح نشط من أهل القرية.. أما إذا كان قصدك ما اشتريته للبيت، فقد جددنا كل اثاث البيت واشترينا ثلاجة ومبردة

سألته: ولماذا لم تشتر تلفزيون؟

أجاب سهرة التلفزيون تجذب وسوف يطول السهر والزراعة تحتاج الى العمل منذ الصباح الباكر.

* * *

ماجدة شوقي، ونبيل ابراهيم.. أو أم جون وأبو جون كما يطلق عليها الناس في الخالصة بيت له طعم مختلف.. سيدة اجتماعية ومرحة ورجل دمث الخلق.. هما فلاحين بالوراثة ولكن نبيل درس التعاون الزراعي ومارسه في منيا

القمح، وحين قرأ في الصحف عن المشروع، قرر انهم بحاجة الى متخصصين في التعاون وتقدم بطلب.. فلما قالوا له ان الشرط ان تكون فلاحاً تزرع الارض.. قرر ان يزرع الارض معتمداً على خبرته في ارض كان يملكها ابوه.. وأن يترك جانباً مسألة الادارة التعاونية.. ويشهد المشرفون العراقيون على المشروع أن ارض نبيل ابراهيم جاءت بأحسن محصول في زراعة الصيف والشتاء.

هو نموذج خاص، ولكن حالة نبيل نجحت بشهادة الفلاحين والمهندسين معاً.. كان وراءها، إضافة الى خبرة سابقة الارادة وحب الارض الخضراء.

من رسائل ابيه الى الاسرة تدرك انك أمام أسرة فلاحين.. لهذا عاد نبيل الى الارض دون تردد حين واتته الفرصة..

ولم تزرع ماجدة من قبل، درست حتى الاعدادية ولكنها في الخالصة راقبت الفلاحة، وتعلمت منها وعرفت المبيت في الحقل لمساعدة زوجها واصبحت من الشخصيات العامة بقرية الخالصة..

احسست وقتذاك ولم يكن قد مر على التجربة غير عام أنني اجلس في دار راضية، يبدو في ارجائها حسن التدبير.. فقد استطاعت أم جون ان تشتري بعد بيع محصول الصيف.. ثلاجة.. وان تكسو طفليها مرتين..

تحدث نبيل عن الارض.. بحنان: طيبة، طينية ثقيلة. تحتاج الى ما يفكك اجزاءها، وبالذات الى السماد العضوي والى صرف.. مزيد من الصرف..

لهذا اضاف نبيل الى حقله مصرفاً مساعداً

البيت غني بالمشاريع.. ابتداء من الاطفال المشغولين بتربية كلبين صغيرين للحراسة.. الى الام التي أصبحت من عشاق التردد على مركز الثقافة الريفي لتتعلم التفصيل.. الى الاب الذي يدرس مشروعاً لتربية الدواجن.

تحدثوا عن الناس.. عن العائلات العراقية التي صادقتهم ودعتهم الى افراحها.. وعن المهندسين الذين يقفون معهم في الحقل في صميم حر «تموز» الى الفلاحة العراقية التي تركت حقلها وهي تذرو الحنطة، لتساهم بالمسحاة في توصيل المروى،

الى العراقية التي تعمل بعشرة بنائين في مرافق القرية الجديدة..

حين نزل نبيل وماجدة الى الارض أول مرة.. وقف في ذلك الصباح الباكر من ابريل نيسان ١٩٧٦ يرتل صلاة:

«يا رب اجعلنا من نصيبك ولا تضيع تعب احد وساعدنا على أن نحقق أمل الناس فينا»..

ورتلت زوجته من بعده الكلمات.

بعدها ضرب بفأسه.. يوقظها في ذلك الصباح.

يفكران في بناء كوخ بالحقل، ينتقلون اليه في الصيف.. رعاية للارض واختصاراً للجهد، وقت جمع محصول الخضر.

وقالت ماجدة لي عن الناس: بسطاء طيبون.. لا يعقدون أحداً.. ويدفعوننا الى المنافسة بروح أخوية.. كان الجيران من الفلاحين العراقيين يقدمون لنا الماء واللبن والشاي ونحن نعمل وحين دخلنا بيوتهم ودخلوا بيتنا عرفنا - نحن وهم - أنه لا فرق.. التقاليد والعادات متقاربة وخاصة في الريف قدموا لي رسائل أهلهم إليهم..

الاب يدعو لولده ان يكون من الصابرين.. ولحفيده بأن يكون من العظماء الدبلوماسيين. ويبعث اليهم بأخبار القرية، ويسأل حفيده هل كان مريضاً في أواخر يوليو - تموز - لأنه رآه في المنام مريضاً كلا يا عم اندراوس.. لم يكن جون مريضاً في ذلك الوقت... بل صبياً سعيداً يمرح على أرض خضراء... هكذا كان بيت نبيل اندراوس «ابو جون» من البيوت التي كانت متحمسة جداً في بداية التجربة، وكانت تتوقع الاستقرار والنجاح لها..

دخلت البيت لأسجل التطور الذي دخل على حياتهم بحكم مرور ثلاث سنوات على بداية التجربة.. شد انتباهي طاولة في ركن غرفة المعيشة تزدحم بلعب الاطفال الكهربائية الحديثة التكنيك.. في ركن الغرفة المقابل، احتل تلفزيون جديد المكان..

سألت نبيل: ما هو التطور الذي دخل الى بيتك؟

أجابت ماجدة زوجته: شاب شعر نبيل وزاد وزنه..

ابتسم نبيل موافقاً على كلام زوجته وقال:

انتاج الارض في زيادة مستمرة. زادت معرفتي بالأرض وطبيعتها، وتزيد خبرتي بالارض الجديدة كل سنة ٣٠٪ عن السنة السابقة..

بلغت ارباحي في السنة الأولى ٢٠٠ دينار وزادت في السنة الثانية بنسبة ٣٠٪ والسنة الثالثة بنسبة ٣٠٪.

زادت مساحة الارض التي يزرعها كل فلاح بمقدار دونم، وكان بناء على طلب المهندس مهدي المؤذن مدير المشروع عندما شعر برغبة الفلاحين بذلك وأدرك قدرتهم على زراعة مساحة أكبر من الارض ولينسجم توزيع الارض مع نظامي الري والبزل.

استطرد نبيل حديثه عن سير الحياة في القرية قائلاً استقر الفلاح، وزادت الارض. دخلت الثلاجة الى ٣٠٪ من بيوت الفلاحين، كما دخل التلفزيون والمدفأة الاضافية والمراوح السقفية والخلاطات والبوتجازات الكبيرة الحجم والمكواة الكهربائية والمبردات وقام معظم الفلاحين بتغيير الفرش المستلم من ادارة المشروع في بداية التجربة.

تزوج شاب من ابناء القرية هو رمضان عبد السلام وحصل على قطعة ارض وبقرة مثل سائر الفلاحين وبذلك انتهت ظاهرة العزاب في القرية..

ذهب أغلب الفلاحين في زيارات الى مصر وعادوا منها فرحين ترتدي زوجاتهم نتاج خير الارض..

سألته: هل اشتركت في زراعة القطن..؟

أجاب: لم اشترك في زراعة القطن، واستفدت من الارض المضافة في زراعة البصل..

وقد زرعت وزنتي بصل «الوزنة مائة كيلو» وربحت منها ٨٠ دينار في هذا

الموسم سنزرع خمس دونمات بصل و ٢ دونم باميا وثلاثة باذنجان ودونم لوبيا..

أضافت ماجدة:

استلمنا بقرة من إدارة المشروع في السنة الاولى.. أصبح عندنا الآن أربع بقرات.. وبعد أسبوع سيوزع الى كل بيت ٥٠ دجاجة لحم..

سألت ماجدة عن درجة تعلمها للزراعة الآن؟

قالت: لعدم ممارستي الزراعة من قبل لاقيت صعوبة في البداية ولكن بعد ثلاث سنوات اصبح الصعب سهلاً وأنا اعتبر نفسي خبيرة في الزراعة..

- من الذي علمك.. ابو جون؟

- الفلاحين.. أم عوني بالذات التي علمتني.. علمتني بذر البذور وهي خطوة اساسية في الزراعة.

قلت حدثيني عن علاقاتك مع أهل القرية:

قالت: تحولت القرية الى قرية مصرية اصيلة.. تتجمع السيدات في جلسات سمر حول المدفأة في الشتاء وفي الحديقة في الصيف.. كما يلتقين من أجل الخبز وعمل الفطائر المصرية.. وفي المدة الأخيرة تلتقي السيدات في فصول محو الامية.

سألتها: ما رأيك في تجربة محو الامية؟

قالت: سعادتي كبيرة بتعليم الفلاحات حتى يستطعن المساهمة في تعليم اولادهن، وكي يستطعن الاعتماد على انفسهن في تصريف امورهن، والتعامل مع الجمعية التعاونية بدلاً من الزوج في حالة غيابه لقد دفعني اعجابي بالمشروع الى المساهمة فيه عن طريق مساعدة الفلاحات في استذكار دروسهن ويقوم بيت الثقافة الريفي بالإضافة الى محو أمية الفلاحين بتقديم حفلات ترفيهية.. ويزورنا مسرح الثقافة الريفية ليقدم عروضه في القاعة الجديدة بالمركز..

سألتها عن أولادها جون ونهاد فقالت:

كان جون بالصيف الاول في بداية التجربة والآن في الصف الثالث ونهاد في الصف الثاني الآن وقد حصل على الترتيب الاول في دراسته..

اعتاد أولادي القرية ويتعاملون باللهجة العراقية ولا يشعرون بفارق بين تلميذ مصري وآخر عراقي.. وهما يحفظان الأناشيد العراقية، ويشاركان في الرحلات المدرسية إلى بغداد وسلمان باك ومصيف صلاح الدين في الشمال، وقد اشتركا في فريق الطلائع في المدرسة.

سألتها: ماذا زرعتم في حديقة الدار؟

قالت: الحديقة مزروعة بالخضروات: فجل وبقدونس وثوم وجرجير وشبنت ورشاد وهو خضرة عراقية تشبه الجرجير..

سألتها: لماذا تفتقر الحديقة الى الشجر؟

قالت: الشجر في القرية يؤوي الحشرات ولكننا زرعنا شجر دفلة «شجر زينة» ولكنه ما زال صغيراً.

دخل جون ونهاد قادمين من المدرسة تتضح على وجوههم علامات الصحة والعافية واستقبلتهم الأم مبتسمة وقالت:

انهما ممتازان في الدراسة..

هذا فلاح مشهور في الخالصة، وبين القرى العراقية المجاورة. اجتماعي مرح، واثق من نفسه خبرته أكبر من سنه، وقد اكتسب شهرة يستحقها نتيجة لقدرته على عقد الصداقات يرد عادة على الذين يكثرون من الشكوى بالآية الكريمة «وأما بنعمة ربك فحدث»

حين اقترحت عليه اجراء حديث اقترح بدوره اقتراحاً غريباً، هو أن يبدأ الحديث في الحقل. كان من الواضح أنه يريدني ان أطلع على نجاحه كفلاح.

كانت بقايا الباذنجان والفلفل والباميا على الشجيرات وبدأ الحديث.. وهو يقطف من الشجيرات على سبيل الهدية..

قال: سمعت عن مشروع الخالصة قبل بداية التجربة بعام ونصف عام.

قرأت اعلاناً يطلب سواقين للعراق، وسمعت عن قصة الفلاحين. سافرت الى القاهرة وسألت في السفارة وعلمت انهم يقبلون السواقين، أما موضوع الفلاحين فإنه مسؤولية امانة الفلاحين بالاتحاد الاشتراكي. ذهبت الى الاتحاد الاشتراكي وقابلت

امين الفلاحين، وعلمت منه تفاصيل المشروع.

وعندما نشرت الجرائد الخبر اليقين، تقدمت بطلبي، وقبلوا الطلب، وحين جئت الى العراق وجدت الحقيقة مطابقة لما رواه لي أمين الفلاحين.

باختصار، لم يكونوا هنا قد اعدوا الأرض لمحصول الصيف، وزرعنا قطعة أرض مؤقتة جماعات جماعات بالخضروات. اما الموسم الثاني فقد زرعناه في أرضنا وفي موسم الشتاء كنت أول من باع البرسيم والشعير من الفلاحين.. وكسبت ٢٥٠ ديناراً.

السنة الثانية بعت من البرسيم ١٥٠ دينار ومن الشعير بمائة دينار، وبقية السنة بعت محاصيل متنوعة وصل دخلي الكلي منها الى ٤٠٠ دينار.

أما السنة الثالثة: فقد بعت في نصفها الاول ٢٠٠ دينار والارض مزروعة الان بالشعير والبرسيم.

حدثني سيد طه عن ظاهرة الاستقرار في القرية..

قال: في البداية كان هناك خلافات بحكم اختلاف الطبائع وعدم التعارف بين مجتمع القرية اما الآن فقد اصبحت الخالصة مثل أي قرية مصرية مرت عليها آلاف السنين..

سيد متزوج من زوجتين، وحين كان يحدثني عن الخدمات بالقرية، عن الرعاية الصحية (التي لم يرها في حياته) على حد تعبيره. سألته فجأة ما إذا كانت زوجتاه تترددان على مركز الثقافة الريفي.

قال: في البداية لم اكن مقتنعاً بذهابها لتعليم الخياطة حتى لا يشغلها ذلك عن الارض ولكن منذ ان بدأ مشروع محو الامية الذي التحقتا به فقد اقتنعت بأهمية المركز. وبعد انتهاء دورة محو الامية سأسمح لهما بالتردد على المركز والاستفادة من خدماته الكثيرة.

واستطرد يتغنى بفوائد المركز الذي يعقد ندوات ثقافية لارشاد الفلاحين الى قواعد تربية الأبناء، وتطور الزراعة والثروة الحيوانية. وندوة حول التكامل الاقتصادي العربي في تلخيص بليغ وبسيط قال سيد طه:

هذه الندوات تقدم للفلاح معلومات لم يكن يعلمها، وعرف منها حجم الوطن العربي الذي يعيش به وحجم نفسه. لقد استفدنا من ارشادهم لنا عن أهمية الزمن، وتقليل الكلفة بالنسبة للمواد والمكائن وفي المركز شاهدنا التلفزيون الملون لأول مرة، وشاهدنا أفلاماً ومسرحيات الى درجة اننا تحمسنا لنكون فرقة مسرحية.. والعقبة هي العنصر النسائي.

قلت لسيد طه ان هذه المشكلة قد تم حلها وارتاحت اسارير وجهه كنت أعلم ان السيد طه هو أول فلاح من الخالصة يقيم علاقات مع الجيرة العراقية..

قال: بدأت العلاقة بالمشاركة في تربية الحيوانات وقد انصرفت الى اجتماعات أخرى، وانتهت عملية المشاركة ولكن الصداقات بقيت.. ولي الآن من الصداقات قدر وفير سواء في القرى العراقية او في الخالصة...

كان الوقت ضحى حين دخلت الخالصة ذلك اليوم من مارس (آذار) ١٩٧٧. السماء كانت شديدة الصفاء والسلام يرفرف على القرية، وحقول الحنطة الخضراء، القريبة من القرية، تضفي على الجو مسحة من جمال طبيعي أخاذ وشعوراً قوياً بالخصب والنماء والازهار..

استقبلني بابتسامة سعيدة وجه فتاة مصرية صبوح تحمل دلو ماء.. دخلت بابتسامتها قلبي.. وحين بادرتني بالتحية احسست براحة من يستظل في الحر بظل شجرة رطيبة.

لعلها أدركت من الكاميرا المعلقة بكتفي انني صحفية، فبادرت بقولها: إذا انتظرت حتى أملأ ماء واعود.. صحبتك إلى دارنا..
وانتظرتها..

اسمها نبيلة وادي من الحمادة مركز فاقوس شرقية.. قبل أن نصل الى الدار كانت نبيلة قد فتحت لي قلبها، كأنها كانت تنتظر بشوق صديقة حين رأتني فجأة في مدخل الخالصة.

سألتها: انت من الشرقية.. هل تعرفين ادهم الشرقاوي؟
قال: ومن يجهل أدهم.. كان زينة الرجال وقتلوه.. وكان يعطف على الفقير.. من صميم الريف جاءت نبيلة..

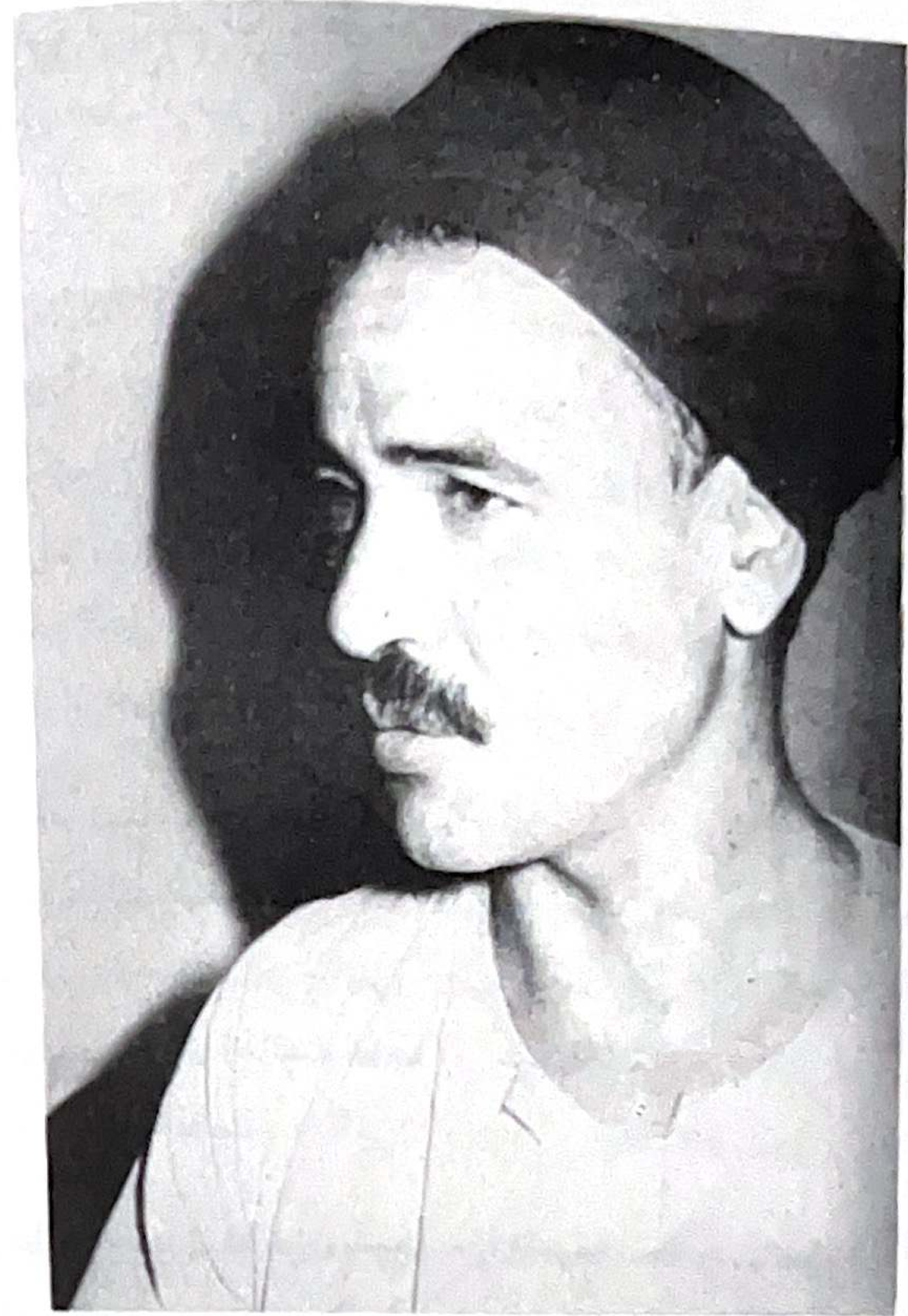
دخلت بي إلى المندرة واعتذرت نيابة عن أمها وكانت مريضة.. وجاءت بأدوات الشاي وأوقدت الصوبا وجلست تجاذبني أطراف الحديث، راضية بحياتها بكل معنى الكلمة، روت لي القصة من البداية.. عرفوا حكاية المشروع من الأم روت الخبر إلى زوجها واستقر رأيهم على تقديم طلب.. وجاءوا إلى الخالصة، وتركوا وراءهم محمد وحسين ليكملا دراستها في المعاهد الزراعية.. وأمل الأسرة أن يعملا بعد تخرجها بالعراق في مجال الزراعة..

أضاء وجه نبيلة وهي تبوح لي بأنها تكاد تكون مخطوبة إلى ابن عمها على الطريقة الريفية القديمة (وهبتها الجدات) لعبد العزيز وهما بعد طفلين وهو الآن يدرس الطب.. وحين يتخرج يتزوجان لأن ما اتفق عليه الأجداد لا يمكن نقضه.. وقالت نبيلة إن الخالصة بحاجة إلى طبيب مصري.. هكذا رتبت حلمها.. ان يتحقق الحلم في الخالصة..

دخل علينا صبيان عائدان لتوهما من المدرسة.. على وجهيهما بشاشة، سلما واشتركا في الحديث.. كانت لهجتها اقرب إلى لهجة بغداد الشعبية. روى علي- ١٠ سنوات- قصة الحمارة سعدية.. أول حمارة تدخل القرية.. اشتراها والده وكانت جاهلة لا تفهم، عهدوا بها إليه ليعتني بطعامها وشرابها وأيضاً ليدربها.. وأصبحت سعدية كما سماها مدربها الصغير تجيد التقبيل، وفتح باب المندرة وإغلاقه والضغط على زر النور لإضاءته..

يقول علي ضاحكاً إن العراقيين يتعجبون من كل هذه العناية بالدواب ويمزحون قائلين انتم تقدمون للحمار البارد والعلج أي اللبان.

علمت بعد ذلك من مدير المدرسة أن علي موهوب في الرسم وقد تقدمت إدارة



عم وادي

لدرسة إلى المديرية بلوحة من رسمه تشارك بها في المعرض السنوي للرسم..

أصبح بيت وادي حسين من البيوت التي أزورها كلما ذهبت إلى الخالصة.. يرسلون الأطفال في طلبي بمجرد انتشار خبر وصولي الى القرية..
وقد أعلنت نبيلة أنها اتخذتني اختاً لها..

في إحدى زيارتي إلى الخالصة عرفت ان نبيلة تزوجت وانها ذهبت مع زوجها

الى مكان عمله في البصرة لتعيش هناك.. قررت بيني وبين نفسي ان ازورها في بيتها الجديد في أول زيارة للبصرة..

زرت بيت وادي لأهنئهم بزواج ابنتهم نبيلة..
وجدت البيت في حالة نشاط، استقبلتني الأم وعلى وجهها علامات الرضا والسرور.
قالت عندما سألتها عن نبيلة: نبيلة بخير، زوجها عامل طباعة مصري يعمل في البصرة زرتها في بيتها الجديد في البصرة.

وفجأة.. دخلت نبيلة، واكتشفت انهم دبروا هذه المفاجأة وصلت نبيلة ليلة أمس في أول زيارة لها لبيت الأهل بعد زواجها.
حكت لي كثيراً عن البصرة وعن حياتها الجديدة.
قلت لها: ما أهم شيء أعجبك في البصرة؟
قالت: اهلها وأسماكها..
وضحكنا..

* * *

ناديت على صبي من وسط مجموعة تلاميذ في طريقهم من المدرسة الى البيوت..
كنت أتصور انه علي وادي تقدم وقال لي أنا شلبي اخو علي.
هكذا صارت الحياة ونما الأطفال.. انتقلوا من صف الى صف والذي كان دون المدرسة الابتدائية بلغها وبدأ دراسته.
كما صحبتني أخته نبيلة الى البيت منذ عامين، كذلك فعل شلبي في ترحاب طبيعي قادني الى باب الدار فتحها وهو يزف الى امه نبأ وصول الصحفية..

استقبلتني على الباب فتاة جميلة ليست هي نبيلة، وتلك كانت مفاجأة الزيارة، اسمهان هي العروس المرشحة ليتزوجها حسين الابن الأكبر للأسرة. هي ابنة عمته ووصولها هو جزء من خطة طويلة المدى لجمع شمل الأسرة وملحقاتها.

كان الاستقرار كأنه يستقبلني على الباب.

قبلتني اسمهان. واحسست ان قصتي مع البيت، قد وصلت إليها بطريقة أو بأخرى. وجاءنا صوت ام نبيلة مرحباً من الداخل. ثم لحقت بنا في المندرة.

كانت المندرة، هي المفاجأة الثانية ودليل الاستقرار الثاني كل شيء فيها جديد والتكنولوجيا المنزلية الحديثة في كل ركن، التلفزيون.. الثلاجة.. المسجل.. المدفأة.. ومضرب البيض الكهربائي المستقر على ظهر الثلاجة.. والأثاث الذي تغيرت معالمه وبدا في ثوب قشيب.

رويت لها مفارقة شلبي الذي تصورت أنه علي.

قالت: حين جئنا من مصر، كان علي في الصف السادس الابتدائي، وشلبي دون السن وكوثر في سنة رابعة. الآن دخل شلبي المدرسة، وعلي في الإعدادية.. ومحمد وحسين كانا في مصر ولحقا بنا في العراق بعد عام، وقد عاد حسين - الصف الثالث بالثانوية الزراعية - وبصحبته ابنة عمته، وتستطيعين ان تقولي خطيبته. اما نبيلة فهي مرتاحة الآن في بيتها بالبصرة مع زوجها جلال مرسي اسماعيل عامل الطباعة..

هنأتها بالتجديدات التي دخلت على الدار..

قالت: يجب أن يرتاح الانسان في بيته، وكل ما يحتاجه البيت اشتريناه، لقد جمعنا شمل الأسرة وتوسعنا في الأثاث وعندي الآن مطبخ كامل، وغرف نوم جديدة ومضيفة لاستقبال الضيوف ولو أن التلفزيون هو الشيء الوحيد الذي أعترض على وجوده لأنه يؤثر على مذاكرة الأولاد. انه مفيد جداً للكبار لأنه ينفعهم في التوعية ولكن بالنسبة للتلميذ مشكلة..

سألتها عن الأرض.

قالت القرية فرزت الناس، الفلاح استمر والذي لم يكن له علاقة حقيقية بالزراعة انسحب وهذا أول عامل من عوامل الاستقرار. كانت القرية في البداية تتشاجر على حفنة علف أكلها العصفور.. كانت العناصر الشاذة على التجربة تختلق

المشاحنات. الآن العلاقات بين الناس طيبة جداً والحقيقة ان ملوحة الأرض ساعدت على فرز الناس. الفلاح الحقيقي فهم ان مشكلة الأرض هي الملوحة وانها إلى زوال بالعمل المستمر. وقليل الخبرة بالزراعة لم يستطع ان يفهم ذلك.

حين سألتها عن دخل البيت من الزراعة قالت: الحق انني لا أضع ميزانية للبيت، ولكن الخير كثير. الأرض اتصلحت واصبحت احسن والانتاج وفير وهذا رفع روح الناس المعنوية وهو عامل من عوامل الاستقرار..

سألتها عن مشتل حديقة الدار، وكان هو أول مشتل في قرية الخالصة.

قالت: آخر زرعة كانت كرنب. اكتشفنا ان الطماطم لا تنجح وهي بحاجة الى بيوت بلاستيكية تحميها من التلف.

سألتها: هل هناك أسباب أخرى للاستقرار الذي يبدو على القرية بعد ثلاث سنوات.

قالت: بالطبع حالة محمد شوق الذي انسحب وبعد عام رجع وهو نادم. امام هذه الحالة يفكر الناس ويميلون اكثر الى الاستقرار.

سألتها عن مشاريع البيت الأخرى غير المشتل.

قالت: قمنا بتربية عشر نعاج وأيضاً الدجاج. اما البقرة بعناها وربينا بنتها..

وكأن شلبي أراد ان يختم الحديث بقصة طريفة فتدخل قائلاً بعدما سلمنا البقرة للحكومة رجعت وراء السيارة التي ركبها أبي حتى البيت..

قالت لي أم جون: عليك واجب تهنئة بيت محمد موسى. وبيت عم عبد السلام محمد.

قلت: خير.

قالت: تصاهرا وتزوج رمضان من انشراح بنت محمد موسى.. عندما أتى رمضان الى الخالصة في بداية التجربة، كان صبياً صغيراً في الثالثة عشرة من عمره، بالصدفة كان جيران اسرته في الزراعة اسرة تضم عدداً من البنات اللاتي

اشتهرن في الخالصة بالنشاط والجد في العمل حتى أن الأرض انتجت محصولاً كبيراً استحق عليه ان يكرم رب الأسرة محمد موسى بجائزة تقديرية.

عندما بلغ رمضان محمد حسن سن السادسة عشرة بحث عن عروس ليكوّن أسرة ويحصل على أرض وبيت وبقرة حسب قواعد التجربة..

لم يطل بحثه فقد كان في بيت محمد موسى غايته وهي انشراح.. وعندما طلبها رمضان رحب الأب وعقد العقد في المحكمة في بغداد وذبحت أم رمضان جدياً احتفالاً بالمناسبة وعلى طريقة اهل الصعيد زفت انشراح إلى رمضان.

وحتى تقرر الجمعية التعاونية انضمام رمضان اليها رأى مدير المشروع تسليمه قطعة أرض مؤقتة..

ذهبت لزيارتهم.. قابلتني أم رمضان مرحبة.. وجاءت العروس في ثوب أبيض مقصب على طريقة الفلاحة العراقية حيتني في خجل شديد ودعتني إلى الدخول.

قالت أم رمضان.. والد انشراح اشترى لها هذا الأثاث الجديد.. واشترى لها الكردان والحلق وملابس العرس. أما مهر إنشراح فقد بلغ ٢٠٠ دينار..

قدمت لي ربة الدار ابنتها فادية قائلة: تزوجت فادية من ابن عمتها وهو فلاح قبل مجيئنا الى العراق بشهر واحد.. وعندما زار أبوها مصر جاءت معه لترانا ونسعى ليلحق بها زوجها لينضم الى المشروع..

سألت فادية: ماذا حكى لكم والدك عن الخالصة؟

قالت: قال لنا عندنا مواشي وزرع وبيت كبير وقد اقتنع زوجي بالحضور الى العراق بجوار الأسرة. انتهى زوجي من الخدمة في الجيش منذ شهر واحد وهو يكمل أوراقه ليلحق بنا.

مدت يدها تحت مرتبة السرير والتقطت رسالة قدمتها الي وقرأت:

القاهرة في ١٩٧٨/١٠/٥

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد المحترم الوالد العزيز/ عبد السلام محمد حسن.

بعد التحية والأشواق

إنه من دواعي سروري أن أخط اليكم هذه الرسالة معبراً بها عن مدى حبي واشتياقي اليكم وبعد:

والدي العزيز عبد السلام. لقد وصلني خطابكم العزيز هو وخطاب زوجتي فادية وحمدنا الله على تمام صحتكم ونرجو من الله عز وجل ان يحفظكم ويرعاكم على طوال الدوام.

والدي العزيز: إنني مشتاق إليكم كما يشتاق الزرع الى الماء والطفل الى حنين امه وبعد:

والدي العزيز: أحب أن أعرفك بأن كاتب هذا الخطاب هو السيد عبد الباسط علي شكر من منزل علي شكر ويهديكم كثيراً السلام وخصوصاً رمضان ومحمد وجمعه وعيد والاستاذ احمد والست أم رمضان ألف سلام وجميع قرية الخالصة وديالى والكوت وأعرفكم بأننا بخير والحمد لله ولا ينقصني سوى مشاهدة رؤياكم الكريمة- ومن عندنا يهديكم السلام الأخ قرني والست حرمه والأخ ربيع والست الوالدة ألف سلام والأخ عوف وجميع الإخوة كبيراً وصغيراً ألف سلام.

وسلامي الخصوصي الى الست زوجتي فادية والابن العزيز علي ألف مليون سلام وربنا يسهل واصل إليكم في القريب العاجل بإذن الله.

ملحوظة: اعرفكم بأن هذا الخطاب هو الثالث من نوعه.

كاتب الرسالة عويس علي شكر

سألت طاهرة عبد الحميد مصطفى (أم رمضان) عن التطور الذي شهده بيتها في الثلاث سنوات الماضية.

قالت: الموسم الأول ليس مقياساً للتجربة فقد كانت الزراعة جماعية ولم نكن قد استلمنا الأرض بعد. الموسم الثاني كان أحسن وقد استصلحت الأرض في العام الثاني بنسبة ٥٠٪ والسنة الثالثة ان شاء الله انتاجها يكون أحسن..

اشترينا بقرة بالإضافة للبقرة التي استلمناها وان كنا قد بعناها في زواج رمضان.

- كيف سمعت عن مشروع الخالصة؟
- من البلد.. قالوا من يرغب في الذهاب إلى العراق يقدم طلباً.. قبلوا طلبنا على الرغم من ان الأسرة كبيرة عندي سبعة أكبرهم رمضان وفادية التي كانت عروساً في ذلك الوقت..

الأرض تتحسن بمرور الوقت وعندي أمل أن تعيش ابنتي وزوجها معنا وأن يحصل زوجها على أرض، وأن يستلم ابني البيت الشاغر في شارعنا، ويحصل على أرض ثابتة بدلاً من الأرض المؤقتة وكل من أشتاق له من أهلي أرسل في طلبه.. وربنا ساترها والحمد لله..

- هل تصلكم الخطابات بشكل منتظم؟
- نعم. وخاصة بعد زواج رمضان.

دخل عم عبد السلام محمد والد رمضان عائداً من الجمعية التعاونية حيث كانت مسألة رجوع محمد شوق الى القرية بعد عام من سفره الى مصر محل مناقشة.. هل يقبل عضواً في الجمعية أم يرفض طلبه.

قال محمد شوق غلطان فقد سافر دون علم أحد كان مرتاحاً ومصالحه وأرضه ممتازة فلماذا يرحل بهذا الشكل كأنه هارب..

أنا أسافر الى مصر للزيارة ثم أعود ولا يمنعني أحد ولكن أن يرحل الفلاح وأهله سنة ثم يعود.. شيء غير مقبول.

سألته: كيف أقنعت زوج ابنتك بأن يلحق بالمشروع؟

قال: قلت له تعال وان شاء الله تحصل على أرض وتبني مستقبلك.

وهم يودعونني لاحظت ان أم رمضان قد صنعت صفوفاً من أقراص الجلة على جدار المنزل على طريقة الفلاحة المصرية.. إذ تخلط روث البهائم بالتبن وتجعله وقوداً للفرن.

أحسست انني تركت ورائي بيتاً جديداً وفتاة تنتظر زوجها القادم من القاهرة ليضمها بيت جديد من بيوت الخالصة..

من الصعب أن ينسى زائر الخالصة شخصية عايدة..

اجتماعية من طراز مألوف في الاحياء الشعبية المصرية.. تحب الضيف ولا تتصور البيت الذي بابه الا على اصحابه..

وبيت أبو إمام من البيوت المشهورة في قرية الخالصة.. وسبب شهرته ان الرجل مشهود له بالكفاءة في الزراعة.. والزوجة.. اجتماعية جداً.. من النوع الذي يأسر الانسان بطيبة القلب والكرم الطبيعي..

أول مرة طرقت فيها باب الدار بعد شهور من بداية التجربة جاء صوت نسائي مرحب من الداخل.. وفتح لي صبي في العاشرة دعاني إلى مندرة غرفة جلوس نظيفة ومرطبة بالماء مزينة بصور دينية ملونة اسلامية ومسيحية وصور فوتوغرافية للأهل والاحباب..

بعد دقائق دخلت سيدة لها وجه يبتسم بالترحيب.. انها عايدة عبد المجيد أبو نشابة.. من محافظة القليوبية..

سألتها: كيف سمعت عن الخالصة أول مرة؟

قالت: سمعت أن العراق يرحب بفلاحين من مصر ولكن اسم القرية لم اسمع به الا حين وصلنا هنا.. كان زوجي يزرع قطعة أرض صغيرة مستأجرة ولأنه لا فرق بين العراق ومصر.. فقد كان المشروع بالنسبة لنا انتقالاً إلى ظروف احسن..

تحس أنها مستقرة، مطمئنة، متفائلة..

استأذنت وعادت بصينية عليها جبن من صنعها.. وأرغفة على طريقة ريف الدلتا الجنوبي ولبن ساخن..

تبقى في الدار أحياناً لتدير حركتها.. ولكنها غالباً ما تلحق بزوجها في الحقل..

حين دخلت بيت عايدة، كانت الأبقار قد وصلت إلى القرية من أسبوعين كل بيت تسلم بقرة ولدت حديثاً أو في طريقها الى ذلك.. وكل بيت دخلته كان أهله يصرون على تقديم شيء من خير البقرة زبد أو جبن أو لبن أو قشدة.. بدخول الأبقار اكتمل للدار الريفية طابعها (الخوار) والخير.. وفي بيت عايدة الى جانب البقرة والحمار.. أوز وبط ودجاج.. لأن عايدة تحب ان يكون في دارها كل ما كانت تتمنى أن يكون.. والظروف الآن مواتية..

حدثتني عن أهلها.. قالت انهم معها في البيت.. لأن وسيلة الاتصال ليست البريد فقط بل الشرائط المسجلة.. أي الرسائل الصوتية..

تجتمع الأسرة وأصدقاؤها.. يسجلون كلمات وحكايات بغير ترتيب.. جلسة عائلية فيها أصوات الأطفال الريفية.. واحياناً الفكاهات على الطريقة المصرية..

أدارت عايدة شريطاً.. وقضينا ساعة ضاحكة.. كان هناك صوت يسيطر على الجلسة قالت انه زوج اختها وانه سائق نقل. كان يقلد اصوات المذيعين..

تحية من شعب مصر العريق الى شعب العراق الشقيق.. هكذا كان يبدأ تقديم شخصياته.. ثم يأتي صوت خاله أو عمه أو صوت طفل..

وإذا كان الطفل صغيراً جداً.. يلقنه رسالة تحية.. ويأتي صوت الطفل كالببغاء.. عايدة لها ثلاثة إخوة.. واخت كبرى..

جاءت برسالة حديثة.. كانت الرسالة من أخيها الأصغر اسماعيل:

اختي العزيزة.. أعرفك بأنني اتممت مدة الجيش ولا ينقصني سوى رؤياك الغالية لأنك في فكري على الدوام..

أختي العزيزة..

انا مشتاق إليك اشتياق الزرع إلى الماء والعليل الى الدواء والطفل إلى حنان أمه..

وختم رسالته بنصوص اختارها من بعض الأغاني التي تعبر عن الشوق..

كان واضحاً أنها تحب اخاها الصغير هذا..

قالت انه خدم في الجيش خمس سنوات لم يتغيب خلالها يوماً واحداً لأي سبب من الأسباب وانه عامل نسيج..

كانت القرية قد بدأت الزرعة الثالثة منذ وصل اهلها عند زيارتي تلك الى عايدة.. وكانت الحاصدات تعمل في الحقول وتحرث..

قالت عايدة: محصول الشعير في حقلنا وفير جداً.. وقد زرعنا لوبيا وباذنجان، طماطم، خيار، بامية، كوسة، بطيخ، وشمام.. ونستعد لزراعة الكرنب..

كانت تحدد بكفها قياساً إلى ارض الغرفة - طول كل شجرة في الحقل..

حين وصلوا الى العراق كان في نيتهم ان يزوروا اهلهم في مصر بعد عام.. الان يتمهلون في ترتيب الزيارة..

الأرض مستصلحة حديثاً وتحتاج الى رعاية كالوليد.. والزيارة تأتي على مهل في اوانها المناسب كما قالت عايدة.. والرسائل واشرطة التسجيل تخفف من حالة الحنين التي كانت تسيطر عليها في البداية..

هناك وسيلة أخرى للاطمئنان على الاهل.. غير الرسائل واشرطة التسجيل.. الزيارة بالنيابة..

حين يسافر احد فلاحي الخالصة الى مصر ليزور اهله.. فانه يزور اهالي جيرانه من فلاحي الخالصة، الذين جاءوا من نفس محافظته..

وعلى شريط تسجيل سمعت وصفاً تفصيلياً من أهل عايدة لواحدة من هذه الزيارات.. ماذا قال لهم.. كيف رحبوا به.. والبيوت التي نزل ضيفاً عليها.. وسلام منهم اليه..

جاءت لنا عايدة بمجلة (الجندي) العراقية.. كان بالمجلة تحقيق عن الخالصة.. وصور بعض اهلها.. ومنهم عايدة.. كانت سعيدة بأن تنشر صحيفة صورتها لأول مرة في العمر..

وقالت: وصلت عربة جيش.. ووزعت على كل بيت عدداً من المجلة.. على سبيل التذكار.. كانت سعيدة.. باسمة، مستبشرة بالحياة.. ومستقرة..

وحين سألت عنها في زيارة لي بالخالصة منذ عام علمت أنها غائبة في مصر.. ولم يكن صعباً اكتشاف ان غيبتها طالت عن مدة الزيارة المألوفة.

حين التقيت بها أخيراً علمت انها كانت على خلاف مع زوجها وانه لحق بها وعادا معاً..

قالت لي عايدة: ان مصارين الانسان تتعارك، وهكذا دب الخلاف بيني وبين أبو امام ثم عاد الصفاء..

واستطردت لتقول: لقد عدنا ومعنا هذه المرة الابن الثاني لزوجي وبهذا اجتمع الشمل..

سألتها: مرتاحة يا عايدة؟

قالت: بعد عودة الصفاء اصبحت معاملة عمك أبو امام فوق الوصف بالاضافة الى ذلك عندي بيتي وأرضي واربعة عجول وارانب، وبط ودجاج، فلماذا لا أكون مرتاحة..

سألتها عن الزراعة..

قالت: كل موسم أحسن من الموسم الذي قبله والسنة دي ناوية ازرع باقلاء وشعير وعاملة حسابي في الخضار على اللوبيا والبامية والباذنجان إضافة الى البطيخ..

هناك ناس لا يزرعون الشتوي وايام الخضار يزرعون جميع الأصناف. كل فلاح مهندس على أرضه.

حدثتني عن تجربتها في تسويق الخضر. قالت إن البداية كانت جماعية وانتهت الى ان يبيع الفلاح الخضار بالمفرد.

عادة أبيع في الزعفرانية. سرعان ما عرفني الناس ومن حسن المعاملة اصبحت لي شهرة يفهموني وافهمهم، وانا الآن اعرف الفلس، والخمسة فلوس والعشرة فلوس..

ثم اضافت باللهجة العراقية الصحيحة: تنطيني نص دينار وتطلب ٢ كيلو باميا وخيار عداروس. ارد اليها مائة وخمسين فلساً.

قالت لي عن درس محو الامية انها شيء في مصلحتها لأنها تتنور وترى الدنيا.

وصل الزوج.. اقترح ان اشرب الشاي بالنعناع او الحلبة الحصاة.

قال: عدت من زيارتي لمصر بكل ما يخطر بالبال من البذور.

روى لي قصته مع الأرض كان يعمل على ارض المالك ثم حصل منها بعد الثورة على خمسة افدنة، ولكن حظه العاثر ان ارضه دخلت في منافع عامة وعاد يعمل على ارض يستأجرها من مالك جديد ولم تعد الظروف ملائمة لاستمراره في الزراعة في قريته (قيلوب بالبلد).

قال: ان مشكلته الان هي ان يحصل نسيبه – زوج اخته – على ارض بالخالصة ولكن انتقاله هو واسرته يحتاج الى مبلغ يفوق طاقته..

عاد امام العوام من زيارته الأخيرة الى بلدته ببذور الكوسة والباذنجان بأنواعه والخيار والشمام والحلبة والملوخية والخبيزة والسبانخ ونباتات السلطة المصرية..

ومن بيت ابراهيم العوام خرجت البذور الى عدد كبير من بيوت الخالصة..

قالت لي عايدة: ان اخاها الذي كان بالقوات المسلحة المصرية، ختم مدته وعاد الى مصنعه والتحق بالتجنيد اخوها الاصغر، وهمست لي وهي تودعني على باب الدار:

الحمد لله انتاجنا يكفينا وادخر منه للمستقبل..

يندر ان يتحدث مثقف عن الفلاحين بكل هذا الحب..



العمل الجماعي

كان هذا هو انطباعي عن المهندس الزراعي مهدي المؤذن حين استمعت اليه في جلسة جماعية بدار أحد الفلاحين بالخالصة في منتصف العام الأول من التجربة..

في ذلك الوقت كنت أخشى على التجربة من الفشل كنت اسمع من يردد ان الفلاح المصري مشدود الى مسقط رأسه مثل شجرة الجميز ويستحيل أن يتكيف مع مكان آخر..

وكنت اسمع ان التربة غير التربة وأوقات الزراعة مختلفة وان المناخ العراقي سيصدم الفلاح المصري صيفاً بالحر اللافح وشتاء بالبرد القارس..

وكنت اسمع ان تكوين القرية نفسه مائة اسرة لا يعرف بعضها بعضاً تفتقر الى

اهم عنصر في تكوين اي قرية فلاحين وهو الامتزاج بين اهلها جيلاً بعد جيل..

وكان هذا الرأي يقول: كيف تعيش قرية بلا تاريخ..

في ذلك اللقاء الذي شهدته في القرية.. قال لي مهدي المؤذن وهو يستمع الى مخاوفي:

إذا اشترى الفلاح الدواب والماشية فمعنى ذلك انه أحب الأرض واستقر..

كان يتحدث بثقة رغم كل المشاكل التي كانت تحيط بالتجربة حينذاك..

كنت قد عرفت عنه من الفلاحين الكثير قبل ان أراه.. هو الذي اشرف على التجربة فنياً حين بدأت ثم أصبح مديراً لمشروع الوحدة الذي تعتبر الخالصة احدى تعاونياته.. مهندس زراعي تخرج عام ١٩٦٠ مشهور بأنه صاحب عقلية منظمة وعملية وانه ينجح في كل مسؤولية تسند إليه..

واستمعت الى احاديث مهدي المؤذن عن التجربة أكثر من مرة بعد ذلك اللقاء.. وقبل ان تتم التجربة عامها الأول بأيام اجريت معه حديثاً ليضمه كتابي الأول عن الخالصة.

كان ينظر الى المشاكل كما ينظر الى ارض مالحة تجري لها عملية غسيل منظمة.. سرعان ما تزول عنها الملوحة..

قال وقتذاك: مثل هذه المشاكل يمكن التغلب عليها وحجمها محدود جداً قياساً الى الحجم القومي للتجربة ونحن ننظر الى التجربة على أساس انها مبادرة قومية متبادلة ولبنة من لبنات وحدة الجماهير الفلاحية العربية..

وكان رأيه ان العامل المادي له تأثير على الفلاح.. والمردود الجيد يساعد على ثبات التجربة... واننا ينبغي ان نكون واقعيين لا ننتظر نتائج مثالية في ايام معدودة..

واليوم - بعد مرور ثلاث سنوات على التجربة - عرفت ان كل كلمة قالها مهدي المؤذن كانت بنت نظر بعيد.. يعرف الفلاح والأرض حق المعرفة..

ورغم انه انتقل - بالترقية - الى مشروع اخر من مشاريع العراق الرائدة وهو

مشروع ٧ نيسان الزراعي إلا ان علاقته بالخالصة ما زالت قائمة.. يزور اهلها ويتفقد حقولهم ويستمع الى اخبارهم..

حين التقيت به كانت التجربة تقترب من عامها الثالث وكان هو في زيارة اختلسها من عمله بمشروع ٧ نيسان ليتفقد احوال الخالصة.

دعاني الى اصطحابه في جولته على طول الطريق الزراعي كانت الحقول واسعة مترامية خضراء بينما السيارة تنهب بنا المسافات..

كان يلوح بيده للفلاح إذا كان بعيداً ويتوقف ليسلم على الفلاح القريب. وطول الطريق لم تنقطع تعليقاته..

الغالبية زراعة جيدة وان كانت الزراعة البدرية قليلة. في العام الماضي كانت الزراعة البدرية أكثر - معظم الفلاحين الان يتخذون شعار الانتاجية العالية هدفاً وحققوا ذلك في البرسيم والخضر والشعير - أبو عزام زرعه كويس - محمود الجزيري - أبو سعيد - محمد موسى خميس - محمد منسي - عبد الباري - عبد المنصف - سيد طه - عبود وعبد العال - الحاج محمد عبد العال - ابراهيم بسة - عبد الجواد.

وتوقف قليلاً عند غيط للحاج محمد عبد العال وقال:

هو أشبه بفلاح يحب ان يجرب كل المحاصيل حتى الشلغم العراقي زرعه وأيضاً محمد موسى زرع محاصيل شتوية كثيرة منها اللهانة والقرنابيط.

سألته: هل كنت تتوقع منذ البداية ان يصمد هؤلاء؟

أجاب: بثقة كل من توقعت صموده صمد.

بدأ الحديث عن معالم الاستقرار..

قال مهدي المؤذن:

أول مظاهر الاستقرار هو التصاق الفلاح بالأرض بالقرية وهو استقرار جاء نتيجة للخدمات التي تقدم لأهل قرية الخالصة في جميع المجالات من الناحية الاجتماعية والصحية والناحية الاقتصادية وهي ناحية مهمة جداً..

لقد ادى تطور الانتاجية الى زيادة دخل الفلاح واصبح التليفزيون والثلاجة من معالم عدد كبير من بيوت الخالصة..

ان بعض الفلاحين يضيفون الى الزراعة مشاريع ترتبط بها مثل تسمين الأغنام والعجول وهم يطالبون بالعلف المركز ويضيفون الى محاصيلهم محصول العلف لهذا الغرض اضافة الى ما يدره عليهم من عائد..

وبهذه المناسبة لقد باعت القرية من خلال التعاونية بما لا يقل عن ستة آلاف دينار برسيم اخضر وهو ما فتح امام الفلاحين آفاقاً جديدة للتعامل، تعاملوا مع مدينة واسط ومع المحطة الكبرى لأبقار الحليب ومع مصلحة أبو غريب الزراعية اضافة الى تعاملهم مع الجمعيات التعاونية في الفضيلية وهي مشهورة بتربية العجول وابقار الحليب والجاموس.

ولقد خلقت هذه النتائج من محصول واحد منافسة في القرية وقرر عدد كبير من الفلاحين زراعة البرسيم الأخضر ليزيد دخلهم..

ومثل البرسيم كذلك الشعير الذي باعت منه القرية بما لا يقل عن عشرة آلاف دينار عن طريق التعاونية هذا عدا ما يحتفظون به كبذور وعلف وعدا ما باعه بعضهم خارج التعاونية..

مما ساعد على الاستقرار أيضاً المرونة التي استقبلنا بها ما تعودوا هم عليه ومثال ذلك ان فلاح الخالصة يحب ان يبيع خضروات حقله بنفسه أو تبيعها زوجته.. ورغم ان ذلك ممنوع هنا.. إلا أننا اتفقنا مع الإدارة بمنطقة الجسر التي يبيعون فيها على ان تتساهل معهم..

كذلك بالنسبة لتنويع المحاصيل..

الفلاح المصري يطور نفسه باستمرار بادخال اصناف جديدة على زراعته.. ونحن نترك له هذه الحرية.. وكل من يسافر منهم الى مصر يعود ومعه اصناف جديدة من بذور الخضر المصرية مثل الفجل والجرجير والبقدونس والباذنجان والبصل واللفت والشمام والبطاطا ويندر ان نجد صنفاً مصرياً لم تنتجه ارض الخالصة..

وخلال عملهم اتجهوا نحو التخصص ونحن نشجعهم على ذلك..

إن التخصص يسهل عملية خدمة الزراعة وفي نفس الوقت مريح لأن الفلاح يميل إلى زراعة ما يعود عليه بعائد أكبر..

ان الفلاح الذي جرب في ارض الخالصة زراعة القطن عاد ليزرعه بمساحات واسعة بعد أن تأكد من العائد المربح للمحصول ونفس الشيء بالنسبة لمن جرب البطاطا الحلوة والذرة الصفراء.

من ملامح الاستقرار.. السعي الى التئام الشمل وتكامل العائلة: عم علي احضر ابنته الأخرى ويسعى لإحضار نسيبه شقيق زوجته.. اسرة اخرى زوجت ابنها واحضرت ابنتها من مصر.. احمد قمصان وابراهيم بسة وحلمي عبد الحكيم جاءوا بأخواتهم.. وهكذا..

لقد اقتنع الفلاح المصري ان التجربة ناجحة وتسير في طريق سليم.. اطمأن واستقر وبدأ يفكر في مستقبله على هذه الأرض ويقنع غيره من الأهل بذلك..

لهذا زادت طلبات الفلاحين المصريين الذين يرغبون في العمل على أرض العراق.. هناك ثمانية عشر ألف طلب تقدم بها الفلاحون المصريون الى الحكومة العراقية يرغبون في العمل بالعراق..

من ملامح الاستقرار أيضاً.. قلة المشاكل..

كانوا في تسع محافظات مختلفة وغير متعارفين في البداية.. لهذا كان الانسجام ينقص القرية.. الآن تغير الموقف.. قلت الخلافات وحل التعاون.. رأيت مرة عبد العزيز وأبو السيد حسين عبد الجواد طالعين مع وادي يساعدونه وثلاثتهم من محافظات مختلفة..

من عوامل الاستقرار عدم تدخلنا في آرائهم!! وهذا توجيه المسؤولين باستمرار.. اننا نتركهم على حريتهم لتكوين آرائهم بأنفسهم..

قلت لمهدي المؤذن:

لاحظت ان بعض الأسر تفكر من الآن في المراحل العليا في التعليم بالنسبة لأبنائها..

قال مهدي المؤذن:

- هذا - يدل كما تلاحظين على انهم يتطلعون الى المستقبل..

ثم أضاف:

أظن أنك تلاحظين ان مقهى القرية يشكو الكساد نهاراً بعد ان كان لا يتسع لقدم في بداية التجربة..

قلت:

واصبح البحث عن فلاح في بيته بغير جدوى والجواب دائماً أنه في الحقل..

وكانت ظاهرة بقاء الفلاحين بالبيوت وفي شوارع القرية يثير قلقي في بداية التجربة..

قال مهدي المؤذن:

هذه ملاحظة جيدة.. لأن تواجد الفلاح في ارضه وبين حيواناته في الحقل هي بنت اهتمامه بتربية الثروة الحيوانية.. اضافة إلى اهتمامه بالعمليات الزراعية بحكم تحسن الأرض وجودة المحاصيل..

من معالم الاستقرار المهمة ان الفلاحين بدأوا يتخاصمون معنا على شبر الأرض.. وليس في زمام القرية شبر واحد غير مزروع..

إن الفلاح يفهم معنى شبر الأرض الزيادة.. انه زيادة في المحصول وغير المساحة.. فان الفلاح يسأل بالحاح الآن عن المحاصيل الحسنة.. وأحياناً يرفض ما نقدمه من بذور ليشتري نوعاً احسن.. وكذلك فهو يشتري كميات من السماد زيادة على ما نقدمه له عن طريق التعاونية..

رويت للمهندس مهدي المؤذن حكاية محمد موسى.. الذي اخبرني انه يشتري من السماد ثلاثة أمثال ما تقدمه له الجمعية..

أمن مهدي المؤذن على ذلك وقال:

محمد موسى يستغل الأرض بكثافة وهو فلاح ممتاز من ناحية معلوماته الزراعية واستغلاله للأرض. واعداده لها.. انه يستغل الأرض مائة بالمائة..

قلت لمهدي المؤذن:

هل هناك فلاحون غير جيدين في زراعتهم....؟.

أجاب:

هناك قلة منهم كانت ضعيفة في عملها الزراعي في البداية والسبب الرئيسي هو عدم الأخذ بمبدأ التخصص عند استخدام العوائل الفلاحية من القطر المصري. حيث ان المجموعة التي تتألف منها قرية الخالصة لأعضاء جمعية الوحدة العربية الفلاحية التعاونية الزراعية، تمثل تخصصات مختلفة بالزراعة جئنا بهم ليزرعوا محاصيل معينة غريبة عن معظمهم من هنا اقترحت حين التوسع بالمشروع.. ان نراعي هذا الموضوع.. وهو تقسيم الفلاحين الى تخصصات خمسمائة مثلاً متخصصون في القطن ومثلهم متخصصون في الخضر أو الذرة.. وهكذا.. عندئذ لن يحتاج الفلاح عند وصوله الى مرحلة تجريبية.. سيصل ويزرع ما هو ملم به ومتخصص فيه..

قلت: اعلم ان الخالصة كانت تضم بعض الذين لم يصدقوا بالنسبة لهويتهم فتقدموا على انهم فلاحون والحقيقة انهم كانوا قرويين من غير الفلاحين مثل الحلاق والجزار والترزي.. هل صمد هؤلاء للتجربة؟

قال: غادروا القرية وكانوا في الحقيقة عنصراً من عناصر القلق في البداية.. كانوا لا يرغبون في الاعتراف بالفشل في الزراعة ويلقون باللوم على التجربة.. على التربة مثلاً والري وما إلى ذلك.. كان مردودهم من الزراعة ضعيفاً وكان هذا عاملاً حاسماً في قرارهم بالعودة.. وقد شجعناهم على مغادرتها وبمغادرتهم استقرت الأمور في القرية تماماً.. لقد قامت التجربة بعملية الفرز التي كان ينبغي ان تتم منذ البداية اي عند اختيار الفلاحين.

من ملامح الاستقرار أيضاً.. قلة الطلبات.. كانوا في البداية يكثرون من الطلبات وخاصة- الشخصية. قروض مثلاً للنزول الى مصر.. الآن يغطون تكاليف رحلاتهم ورحلات ذويهم الذين يحضرون هنا للعمل أو لاكتمال جمع الشمل وذلك ناتج من زيادة المردود ايضاً والاحساس بالاستقلال والثقة بالنفس..

قلت: هل يمكن القول إن للفلاح المصري خبرة خاصة بالزراعة من خلال تجربة الخالصة؟

قال: هذا وارد.. وبعض فلاحي الخالصة يؤدي عمليات الزراعة بأسلوب علمي.. ان طريق تطبيقهم لعملية خدمة الأرض وعمليات الزراعة عموما خبرة جيدة وخاصة في زراعة الخضر والقطن والذرة..

يمكن القول ان ميزة الفلاح المصري هي انه ينفذ نسبة عالية من خبرة العمليات الزراعية المتطورة..

ان الزراعة اصبحت علماً الآن تتناقله الدول وتبقى نسبة تطبيق الفلاح لهذا العلم وهو امر يتوقف على درجة وعيه وادراكه..

انتقل الحديث الى الملاحظات الخاصة.. قال مهدي المؤذن إن (خص) الحقل في الريف العراقي موسمي يقيمها الفلاح صيفاً قرب حقل الخضر ليتناول الشاي فيها ولتكون محلاً لما يجمعه من الحصر ولتؤوي الأطفال.. اهل الخالصة يقيمونها على مدار العام واغلبهم يبنونها من الفخار في البيوت بنوا الأفران على الطريقة المصرية.. وتحدث عن منتجات الفلاح المصري من الألبان مثل الجبنة البيضاء - القريش - والجبنة القديمة والمش وأطرى مذاقها..

سألته:

كيف نبتت فكرة مشروع بيوت الدواجن الذي تنفذه جمعية الخالصة التعاونية؟.

قال:

إن العمل الزراعي النباتي والحيواني متكامل والمشروع جزء من نمو وتطور التجربة.. ويجوز ان يتطور المشروع في المستقبل الى مشروع تسمين اغنام أو عجول.. ان الثروة الحيوانية تدر على الفلاح ربحاً جيداً وتربط ما بينه وبين الأرض أكثر..

قلت له: من مظاهر الطموح ان بعض فلاحي الخالصة يحلم بشراء سيارة تويوتا لأن بعض الفلاحين العراقيين يملكون هذا النوع من السيارات..

قال: التويوتا اساساً لنقل المحاصيل وللترفيه عن الأسرة احيانا.. واحيانا يستغلها الفلاح لنقل ركاب إذا كان يملك بعض الوقت.. وانا اشجع الفلاح المصري ان يفعل ذلك.. سيساهم في نقل محاصيله ومحاصيل اعضاء جمعيته وجيرانه وهذا عامل استقرار وتحسين في الدخل..

قلت: سمعتك تتحدث منذ عامين عن مشروع تربية النحل في الخالصة..

قال: عدم وجود بساتين قريبة هو الذي أخر المشروع.. وكانت خطتي ان نجعل من المساحة الممتدة خلف القرية بستاناً مساحته مائة دونم.. ولكنني أميل الآن إلى مشروع لتربية الأغنام بعد مشروع الدواجن لأن فترة تربيتها قصيرة وهي مربحة جداً..

سألت:

هل كنت في بداية التجربة تتوقع نتائج أحسن مما وصلت إليه؟

قال:

كنت أتوقع هذه الدورة التي مرت بها التجربة.. وان كنت اتوقع نتائج أسرع..

سألت: وما هو العامل الذي أثر سلباً على سرعة النتائج؟.

قال: بصراحة أخطاء الاستصلاح عدم ضبط التسوية عدم ضبط الري وهي عوامل أدت إلى قلق الفلاحين نفسياً في أول الأمر.. لهذا فإنه في حالة توسع التجربة يجب أن يكون إعداد الأرض متكاملاً من حيث الري والبزل والتسوية وتوفر الحصة المائية للري..

قلت لمهدي المؤذن:

بعد ثلاث سنوات من التجربة.. ما هي خلاصة اقتراحاتك لتكون خطى المشروع سديدة حين التوسع فيه.

قال:

الضوابط.. وأهمها ضوابط اختيار الفلاح القادم من مصر.. أي شروط الفلاح المستعد للاستقرار..

إن الفلاح الذي يملك أرضاً في مصر يكون أكثر استقراراً في العراق لأن ملكيته للأرض في مصر مهما كانت محدودة فإنها تقسم اهتمامه وتصيبه بالقلق الدائم..

المسألة الثانية هي تكامل العائلة منذ البداية فلا يخلف الفلاح بعض أفراد عائلته في مصر أو تصبح مشكلته بعد ذلك هي جمع شملهم..

محمد منسي مثلاً فلاح ممتاز.. مجتهد نقطة ضعفه الوحيدة هي عائلته المقسمة بين مصر والعراق.. لهذا عندما يسمع خبراً سيئاً عن أحد أفراد أسرته في مصر يصبح همه الوحيد هو السفر للاطمئنان..

المسألة الثالثة هي أن يتم الاختيار من أقل عدد من المحافظات تحقيقاً للانسجام..

المسألة الرابعة هي التي أشرت إليها من قبل وهي التخصص.. أن نكفل للفلاح ان يزرع ما كان متخصصاً في زراعته.. وهذا يتم بالتخطيط عند الاختيار..

كان المهندس حامد علوان مطر مدير قطاع الوحدة الذي تتبعه قرية الخالصة من الوجوه الجديدة التي التقيت بها بمناسبة مرور ثلاث سنوات على التجربة.. هادىء جداً يتحدث عن التجربة بثقة راسخة وهو مهندس زراعي تخرج في جامعة الموصل وبذلك تعرف على عدد كبير من أساتذة الزراعة المصريين وحين بدأ تجربة الخالصة كان خارج العراق في دورة عن إدارة مزارع الدولة في ألمانيا الديمقراطية ولكنه كان بقلبه مع التجربة هناك. من خلال ما تنشره الصحف العراقية.

بعد أن عاد من ألمانيا عمل في اربيل وكان قد مر على التجربة واقترب من اخبار التجربة أكثر ثم انتقل ليعمل معاوناً لمدير مشروع الوحدة في ربيع عام ١٩٧٨ وفي صيف نفس العام تسلم إدارة المشروع واحتضن اخيراً قرية الخالصة. تحدث عن التجربة مبتدئاً بالبعد القومي لها..



قال: عندما سمعت عن التجربة أول مرة وكنت آنذاك في ألمانيا رأيت فيها تطبيقاً عملياً لمبادىء حزب البعث العربي الاشتراكي القومية ودليلاً على ان المجتمع العربي هو مجتمع واحد وان الفرد العربي في القطر المصري يمكن ان يعيش ويندمج في القطر العراقي.

عرفت الخالصة عن بعد وعملت بها بعد سنتين من بداية التجربة لم أجد فارقاً بين الصورة التي رسمتها لها في قلبي وبين الواقع الذي استقبلني على أرض الخالصة..

عقائدياً كنت واثقاً من نجاح التجربة واستقرارها وعملياً وجدتها كذلك بعد لقاء..

إن استقرار الفلاح واستمراره ثلاث سنوات وأسلوب حياته وانتاجيته خلال هذه الفترة هو دليل كاف على عدم وجود أي انفصام.

سألته: هل أفهم مما تقول انه ليس لقرية الخالصة مشاكل...؟.

أجاب: مشاكل فلاح الخالصة طفيفة وهي نفس مشاكل اي فلاح عراقي هي مشاكل العمل الزراعي في أي مكان مثل توجيه ماكنة والتصرف بالمياه وغيرها من المشاكل الزراعية المألوفة..

قلت: ولكن هناك الاختلاف في طبيعة الأرض مشكلة الملوحة مثلاً؟

أجاب: بنفس الهدوء: الأرض مستصلحة ومنفذ بها منشآت ري وبزل وتم غسل التربة واستزراعها لموسم واحد بعدها سلمت الى الفلاحين ولكن بقيت نسبة ملوحة في اجزاء قليلة من الأرض وقد تم تشخيصها وتمت زراعتها بمحصول الشعير لأن الشعير يقاوم الملوحة النسبية وعملية ريه هي بمثابة غسل للتربة عن طريق غمرها بالمياه.

ونحن نولي مسألة الري والصرف اهتماماً خاصاً الآن هناك خطة يتم تطبيقها قريباً لتبديل أطقم الضخ الثلاثة التي تزود المشروع بالمياه بطواقم كهربائية جديدة وسيتم كذلك توسيع القناة الرئيسية للمشروع لزيادة طاقة التصريف وسوف نبطن القناة الرئيسية بالكونكريت مسافة ١١ كلم لتقليل مفقود المياه. وذلك لتيسير احتياج المشروع من الماء سواء للري أو لغسل التربة أثناء عملية استصلاح الأراضي..

وضعت أمام حامد علوان آراء الفلاحين وفي مقدمتها ان الأرض ليست بحاجة إلى استصلاح بقدر ما هي بحاجة إلى تجاوب سائقي المكائن مع احتياجات الأرض.

قال: في الفترة الماضية كان تصليح الأرض بالماكينات يتم بتوجيه مباشر بالفلاحين وكان هذا الأسلوب يسبب كثيراً من المشاكل. الفلاح يريد الماكينة في أرضه لتقوم بكل العمليات الزراعية من حراثة وتخطيط وتنعيم دون أن يفكر في احتياجات الآخرين.

هذا أسلوب غير اقتصادي بالنسبة لتشغيل المكائن. نؤمن بمبدأ التجميع وهو المطبق حالياً ومعنى ذلك أن تم كل عملية زراعية لكل الأرض نبدأ بالتعديل ثم التنعيم ثم التخطيط وهكذا نبدأ بالقاطع الأول وننتهي بالقاطع الأخير آخذين

بنظر الاعتبار ان الفلاح الأخير لا بد ان يجهز أرضه في وقت قريب من الوقت الذي بدأ فيه الفلاح في أول الأرض. المكائن تسير في تجمعين يلتقيان في النهاية في مكان واحد. والعمل يبدأ في فترة مناسبة حتى يمكن السيطرة على إعداد الأرض في موعد الزراعة لكي نحصل على انتاجية عالية.

لا أقول إنه لم تواجهنا مشاكل. مثلاً أحد الفلاحين طلب تهيئة أرضه لزراعة الذرة. وهيئت الأرض ولكن فات موعد زراعة الذرة دون أن يزرعها وقال إنه يريد ان يزرع شعيراً والمفروض ان نعدل الأرض ونمسح البروز الموجود بها تهيئة لزراعتها بالشعير.

على أي حال في هذا الموسم تخصص موظف للشؤون الزراعية يعتبر حلقة وصل بين الدائرة وبين الجمعية التعاونية يضع خطة عمل المكائن.

ان بعض الفلاحين لا يتقبلون هذا الوضع بارتياح لأنهم اعتادوا في بداية عملهم بالخالصة على توجيه المكائن بأنفسهم ولكن الفلاح عادة يقتنع حين يكتشف ان الأسلوب الصحيح يعود عليه بحصول جيد..

حدثت المهندس حامد علوان عن الشكوى الرئيسية للفلاحين في بداية التجربة. قلت له إن مشكلة عدم استواء الأرض كانت تطغى على ما عداها من مشاكل من البداية..

قال: مسألة تعديل أو تسوية الأرض لا نتوصل إلى حلها بشكل كامل خلال سنة واحدة ولكن حصيلة عمل ثلاث سنوات هي أن ٩٥ بالمائة من الأرض تخلصت من المشاكل الطبوغرافية.

أجزاء قليلة من الأرض هي التي بقيت بها مشاكل يمكن تلافيها بالزراعة. هذا العام مثلاً لا توجد قطعة أرض واحدة لم تدخلها آلة تعديل وقد وضعنا خطة للموسم القادم لتسهيل عمل المكائن بحيث تكون المحاصيل الصيفية على جهة والمحاصيل الشتوية على جهة أخرى والهدف انه إذا أردنا إعداد الأرض للموسم

الشتوي لا تعطلنا مساحات مزروعة بمساحات صيفية.. (استغلال الهدف وفق دورة زراعية مناسبة وتجميع زراعي يسهل عمليات اعداد الأرض وخدمة المحاصيل).

واستطرد حامد علوان: أدعوك لزيارة الحقول لتشاهدي النتائج بنفسك. الحقول جيدة واستواؤها ممتاز والدليل على استواء الأرض عدم وجود قطعة بدون سقي كذلك فإن الانبات والنمو تم في وقت واحد وهذا دليل على ان الارض مستوية..

قلت: مر توزيع الأرض بثلاث مراحل. فهل التوزيع الحالي هو التوزيع الأخير..؟

قال: نعم في البداية تم التوزيع دون اعتبار لوضع المبازل وبذلك كانت المبازل تتخلل اراضي الفلاحين وهو وضع ضار لأن مرور الماء يؤدي الى انهياره ثم انسداده.. والمفروض ان يمتص المبزل الماء ويرمي به الى المبازل المفتوحة..

لقد تمت موافقة المجلس الزراعي الأعلى على إعادة التوزيع بحيث يراعى فيه ان تكون المبازل الحقلية حدوداً لقطع الفلاحين فلا تغمرها المياه حتى تؤدي دورها في عملية غسل التربة. حيث تم توزيع الأرض بما ينسجم ونظامي الري والبزل النفذة على الأرض.

كنت قد سمعت عن مشروع الدواجن من خلال حديثي مع بعض اعضاء مجلس الجمعية التعاونية وسألته عن المشروع..

لقد وضع بخطة عمل الجمعية الشتوية لعام ١٩٧٨ انشاء اربعة قاعات لدجاج اللحم بسحب قرض انشائها ٤٠,٠٠٠ دينار من المصرف الزراعي التعاوني. الغرض منها زيادة دخل اعضاء الجمعية واستغلالهم لأوقات الفراغ بعمل نافع والجمعيات قضاء المدائن الفلاحية التعاونية الزراعية السبعة في إقامة عدد كبير من قاعات دجاج اللحم هذه.

وبالفعل تم سحب ٤٠,٠٠٠ دينار من المصرف الزراعي لبناء أربع قاعات تعطي انتاجاً يصل الى ٢٨ الف دجاجة في الوجبة الواحدة والسنة تستقبل خمس وجبات وقد بدأ البناء بالفعل.

كان واضحاً في حديث المهندس حامد مطر علوان ايمانه الشديد بأمرين..

أولاً: ان التجربة نجحت وسوف يستمر نجاحها بحكم صحة النظرية التي قامت عليها.

ثانياً: الايمان بالعلم في تنظيم الزراعة، وأن الفلاح سيقتنع بالأسلوب العلمي من خلال تجربته الواقعية.

حديث حامد علوان يوحي إليك بأن كل شيء هادىء في قرية الخالصة..

جاسم جبر.. هو أول موظف عراقي يستقبل الفلاحين في الخالصة..

فلاح من الجنوب العراقي وابن فلاح.. عمل سنوات بمناطق الاهوار الصعبة.. لهذا فهو يعتبر تعب الخالصة إجازة من المتاعب الحقيقية.

هو صديق لجميع الفلاحين وعائلاتهم وقد كان عمله في البداية يتشعب ابتداء من حل المشاكل الخاصة جداً حتى مشاكل الأرض.

هو ناظر التعاونية.. ولكن الفلاحين اعتبروه في البداية همزة الوصل بينهم وبين العالم كله.. حدثني عن التجربة في تطورها..

منذ ان كانت القرية مجرد بيوت مجهزة لاستقبال الفلاحين.. وأرض محدودة نصف مستصلحة.. الى ان صارت قرية بحق وحقولاً غزيرة الخضرة..

ورغم كثرة المشاكل الصغيرة في البداية.. فقد كان جاسم جبر واثقاً من نجاح التجربة.. بحكم خبرته بطبيعة الفلاح..

قال: السبب الرئيسي في الاستقرار ان الفلاحين لمسوا العائد الوفير من الزراعة وما ينشأ على الزراعة من تربية أغنام وابقار.. خاصة ان القيادة السياسية بالعراق كانت تخفف أولاً بأول عن عاتق الفلاحين الديون وتدعمهم مادياً الى حين تستقر أمور الانتاجية من ناحية وحالتهم الاجتماعية من ناحية اخرى..

ان التساهل واجب في بداية التجربة.. هكذا يقول جاسم جبر.. ومن الصعب ان نعامل فلاحاً يبدأ على أرض جديدة تماماً عليه وفي ظروف كان عليه مهمة

التكيف معها. وله في الوقت نفسه بعض القضايا الاجتماعية الناشئة من انتقاله من مصر الى العراق.. وخاصة قضية تكامل العائلة.. بنفس المقياس الذي نعامل به الفلاح المستقر تماماً.. لهذا جاءت التسهيلات في العمليات الزراعية والخدمات والتسويق التعاوني.. مثلاً.. العام الماضي قمنا بتسويق ٢٤٤ طناً من الشعير بمبلغ ٩٧٧٨ ديناراً.. والاتحاد يخصم عادة نسبة الشوائب ولكنه بالنسبة للخالصة اعفاها من هذا الخصم..

كذلك اعفاهم الاتحاد من ديون بلغت قيمتها ٩٣٠٠٠ دينار تمثل ثمن اثاث الدور ومواد غذائية لمدة شهر جهزت بها العوائل وتكاليف زراعة وتجهيزات الموسمين صيفي ١٩٧٦ وشتوي ١٩٧٧/٧٦.. وما زال الفلاحون يتقاضون حتى الآن راتباً قدره ٣٠ ديناراً كل شهر..

هناك مسألة أخرى يضيفها جاسم جبر وهي عدم التدخل في آراء الفلاحين السياسية. وعدم طرح مسائل الخلاف بين الحكومات من قريب أو بعيد.. لهذا فإن سماء القرية صافية من هذه الناحية..

حدثني جاسم جبر عن الاهتمام الخاص بالقرية من ناحية الخدمات.

قال: ان الفلاحين يشعرون بهذه الحقيقة وهي ان قريتهم تحظى باهتمام خاص لمغزاها القومي.. ان كافة انواع الخدمات قد وصلت الى قريتهم بحيث اصبحت نموذجاً للقرية التي يتطلع إليها الريف العربي: بيت الثقافة.. ومدرستان ابتدائيتان وفي السبيل انشاء مدرسة ثانوية.. ومستوصف ووحدة اسعاف.. وخط أتوبيس خاص يعمل من الصباح حتى الثامنة مساء..

سألته عن رأيه في الفلاح المصري:

قال: فلاح جيد.. والأقلية التي كانت كثيرة الشكوى قليلة الانتاجية كانت عناصر لا علاقة لها بالفلاحة.. وقد غادروا حين واجهوا الواقع ونحن نستكمل عدد العوائل بفلاحين حقيقيين بالتعاون مع أهالي الخالصة أنفسهم..

على أن نماذج الفلاحين الجيدين بالقرية كثيرة جداً وهي تبعث على الفخر مثل

محمد موسى الذي لا يكاد يغادر الحقل هو وبناته حتى انه يسبق الماكينات..

ويضرب جاسم جبر مثلاً غريباً على تعلق الفلاح ان كان فلاحاً أصيلاً بالأرض التي عمل عليها..

الفلاح محمد سيد شوق.. نزل إلى مصر لأسباب عائلية وانقطعت اخباره قرابة عام.. ثم عاد..

كان قد فقد عضويته بالجمعية التعاونية وكذلك ارضه وبيته.. وصمم محمد سيد شوق على ان يستمر في الخالصة.. وقابل المسؤولين وشرح قضيته.. واسترد بيته وارضه في النهاية.

وأضاف جاسم جبر:

رغم ان عدداً من الفلاحين يقوم بتسويق جانب من محاصيله بغير الطريق التعاوني فقد وصل التسويق من الخالصة نسبة الى التعاونيات الخمس الأخرى التي يتكون منها مشروع الوحدة ثلثمائة في المائة.. وهي شهادة لأهل الخالصة تعتز التعاونية بها..

سألته عن أخبار الفلاحين السبعة الذين وصلوا إلى القرية خارج الاتفاقية وقبل وصول افواج الفلاحين..

قال: هذه قصة..

توفي أحدهم أثناء زيارة له الى الأهل في مصر واثنان رفضوا احضار عوائلهم وعادوا.. لأنهم في الحقيقة لم يكونوا على صلة حقيقية بالزراعة..

أما الباقون فقد استقروا.. ومنهم الآن رئيس التعاونية..

مع بداية معرفتي بالخالصة تعرفت على صلاح محسن، مدير المدرسة يومذاك اطلقت عليه اسم كاتم اسرار الخالصة.

كان يعيش هو وأسرته في بيت عادي من بيوت الفلاحين.. ودخل هو وأسرته بيوت الخالصة جميعها واستقبل بيته جميع أهل الخالصة عائلة، عائلة..

كانت الثقة فيه مطلقة وهكذا عهدوا إليه بكتابة رسائلهم الى ذويهم في مصر..



أطفال الخالصة

وأصبح مستشاراً لهم في شؤونهم الخاصة جداً..

حين كان ناظراً لمدرسة المدائن كان يمر على موقع الخالصة وهي ما زالت أكواماً من الاحجار يحولها الطلبة والفلاحون والعمال على طريقة العمل الشعبي الى بيوت..

وكان يفهم أنها ستكون قرية لها تاريخ..

كان يحدثني بفرح حقيقي عن قدرة الجيل الجديد على الاندماج في البيئة..

كان يقول: في شهر واحد.. اصبح تلاميذي المصريون والعراقيون اصدقاء..

وكان يردد: الجيل الجديد احسن من الجيل القديم.

كان متحمساً لتجربته التربوية.. التي تجمع من فصول واحدة بين الطلبة المصريين والعراقيين. أما الجيل القديم فكان في نظره شيئاً واحداً: الفلاح العربي واحد..

وكذلك كان يتوقع ان تتكاثر الخالصة لتصبح عشرات القرى المصرية في حضن الريف العراقي.. لبنة من لبنات الوحدة العربية الكاملة..

والتقيت بصلاح محسن والتجربة تقترب من ختام عامها الثالث..

بادرني قائلاً: اراهنك إذا طفت بالفصول واكتشفت الفرق بين الطالب المصري والطالب العراقي.

وبدأ حديثه عن معالم الاستقرار بالنسبة للجيل الجديد..

قال: بالوقت والجهد انتهت مشاكل كثيرة منها اوراق التلاميذ الرسمية التي تعذر على بعض العوائل احضارها معها.. ومنها اختلاف مستوى التلاميذ في بعض المواد مثل اللغة الانكليزية والمواد الاجتماعية. وكذلك اختلاف اللهجة التي تم حلها في البداية عن طريق القاء الدروس بالعربية الفصحى اما الآن فإن اللهجة العراقية أصبحت هي السائدة والصغار بالذات ينطقونها باتقان غريب..

المصريون كلهم نجحوا في العام الماضي.. وكان اثنان منهم قد تركوا المدرسة ليعملوا في الحقل ولكنهم هذه السنة عادوا بعد تطبيق قانون التعليم الإلزامي..

في البداية كان عددهم ٥٤ طالباً وطالبة..

هذا العام أصبحوا ٥٩ طالباً وطالبة فقد قفز عدد البنات من ثمان إلى عشرين طالبة..

أنا أتحدث عن مدرسة الاصلاح التي اديرها.. لأن هناك مدرسة الريف المسائية التي يلتحق بها من يعمل في الحقول صباحاً ويدرس مساء.

قال صلاح محسن بافتخار: ان الطلبة المصريين في طليعة المتقدمين للأنشطة المدرسية الفنية والقومية والسبب سرعة بديهيتهم.. واشهد ان قدرتهم على استيعاب الدروس ممتازة وملفتة للانتباه..

وانتقل بنا الحديث من مجال المدرسة إلى مجال القرية..

قال صلاح ضاحكاً: عندي مقياس لمدى استقرار اهل القرية.. ان بيتي يقع بجوار مركز الشرطة.. في البداية كان يتعذر علينا النوم من ضجة المشاكل.. الان ننام ملء جفوننا.. والمركز يشكو من الكساد..

وفي كلمات موجزة لخص التطور الذي دخل على القرية.

لقد اضفنا القسم المسائي الى المدرسة ولم يكن موجوداً، المستوصف توسع، لدينا مركز اسعاف فوري وفرع لشركة المبيعات الحكومية للتجهيزات المنزلية وهناك مدرسة ثانوية تحت الانشاء تبدأ عملها في العام الدراسي القادم..

وأضاف كاتم أسرار الخالصة:

إن من معالم الاستقرار اختلاط اهل القرية بالمجتمع العراقي تماماً وقد انتهت عملية جمع الشمل.. فقد سافر الكثيرون منهم إلى مصر وعادوا ببقية الأهل مثل الحاج محمود ومحمد شكر وأبو سيد..

وراح يعدد مظاهر الاستقرار..

سألته عن مشروع محو الأمية.. فهو مديرها إضافة الى موقعه في مدرسة الاصلاح..

قال: لقد شمل اهالي قريتنا حملة محو الأمية وقانون التعليم الإلزامي..

وفي القرية ٨٣ سيدة وفتاة أمية أما الرجال فإن عددهم ٤٩ أمياً.. ان التزامهم بالحضور واقبالهم يثير الإعجاب حقاً.. والفرحة على وجوه الفلاحات وهن يحملن الكتب تحت إبطهن في الطريق الى مركزهن من معالم التطور الجديدة في القرية..

قلت له: قالت لي أم أحمد عندما سألتها عن رأيها في محو الأمية ان نساء القرية مثل الطير الأعمى وعندما يتعلمن يبصرن..

قال صلاح: ومن يسمع هذه الحكمة ولا يفرح بأهل الخالصة؟

شد انتباهي اطفال الخالصة في زيارتي الأخيرة.. الوجوه باسمة.. والخدود متوردة والعيون لامعة.. والأجسام تنطق بالحيوية. فارق كبير بين صحة الأطفال في بداية التجربة وصحتهم الآن.. وكذلك الحال بالنسبة للكبار..

في المركز قابلني العاملون مرحبين وعاتبوني على ان كتابي الأول عن الخالصة كان ينقصه الحديث عن المركز الصحي.

تحدثت عن صحة الفلاحين مع الدكتور كاظم جواد مدير المركز الصحي..
والدكتور كاظم متخرج من جامعة الموصل عام ١٩٧١.. عمل في جنوبي العراق عامين.. ارتبط فيها بالريف وأحبه.. بعدها اختار العمل في الريف وتنقل في قرى مختلفة.. وعندما انتقل إلى الخالصة عام ١٩٧٦ قرر ان يعطي كل وقته ومجهوده للخالصة ونقل اسرته الى القرية حتى يستقر بها.. وبدأ في توسيع خدمات المركز.. ونقله الى القرية بعد ان كان يبعد عن القرية حوالى ثلاثة كيلومترات..

قال: بدأت الرعاية الصحية لأهالي الخالصة منذ لحظة وصولهم.. أجرينا لهم الفحوص والتحاليل المختلفة وتابعنا حالات المرض وخاصة مرض البلهارسيا.. اكتشفنا ١٣٩ حالة بلهارسيا في القرية عولجت واختصر العدد الى ثلاثين حالة وهي الحالات المزمنة التي يطول وقت علاجها.. وان شاء الله تعالج في المستقبل..

بالإضافة الى البلهارسيا كانت هناك حالات فقر الدم الآن لا توجد في القرية هذه الحالات فيما عدا الأمراض البسيطة التي يعاني منها المواطن العربي بصفة عامة.

قال: في البداية كانت نسبة ترددهم على المركز كبيرة.. الآن يأتي الى المركز صباحاً من ١٠٠ - ١٢٥ مراجع نسبة الاخوة المصريين منهم بين ١٥ - ٢٠٪ ذلك لأن المركز يقدم خدمات للمنطقة المحيطة به كلها..

في عيادة التأمين الصحي في المساء عدد المراجعين بين ٤٠ - ٥٠ مراجعاً نسبة المصريين بينهم ٣٪..

وهذا معناه انهم يستفيدون من العلاج المجاني في الصباح..

كيف يجري العمل بالمركز؟

العمل في المركز الصحي يبدأ من الساعة السابعة صباحاً وحتى الساعة الثانية والنصف ظهراً.. وتقدم فيه الخدمات بالمجان وهي خدمات تركز على الجانب الوقائي مائة بالمائة.. في الجانب العلاجي نقوم بفحص المراجعين واعطاء الدواء لهم بالمجان.. وبالنسبة للأطفال نقدم بالاضافة الى العلاج ارشادات صحية للأم خاصة برعاية الطفل والتنظيف والتعقيم.. ثم نتابع الحالات المرضية التي تأتينا باجراء

التحاليل حتى يتم الشفاء..

بعد انتهاء عمل المركز الصحي هناك خدمات طبية اخرى تقدمها عيادة التأمين الصحي وهي حسب قانون التأمين الصحي يكون الكشف بأجر رمزي هو مائة فلس (١٠ قروش) والادوية بسعر التكلفة وتقدم العيادة خدماتها من الساعة الخامسة مساء حتى الساعة السابعة..

بعد التأمين الصحي عندنا عمل آخر هو اسعاف الحالات التي تأتينا مجاناً..

هناك أيضاً مركز الاسعاف الفوري ويضم سيارتي اسعاف لنقل المرضى الى أي مستشفى يحتاجها والعربة مجهزة تجهيزاً طبياً..

أما الكوادر التي يضمها المركز فهي:
طبيب، صيدلي، معاون طبي، ثلاثة من مساعدي المختبر، مضمد، ممرضتان، مساعد صيدلي.. وفراشان.

وتضم عيادة التأمين الصحي نفس الكادر.

أما مركز الاسعاف الفوري فيضم:
معاونين طبيين واربعة سائقين وفراش وسيارتي اسعاف حديثتين..

استطرد الدكتور كاظم:
في المستقبل سيتم توسيع البناء ليضم طبيب الاسنان الذي عين فعلاً ولكنه لم يستطع مباشرة عمله نتيجة ضيق المكان وستعمل معنا طبيبة نسائية أيضاً..

سألته: كيف حال الولادة في الخالصة؟

قال: الولادات تتم في البيت مجاناً.. تستدعي السيدة الحامل الممرضة في أي وقت وفي الحالات الخاصة يتم نقل الأم الى بغداد.. والوزارة في طريقها الى تطبيق نظام للولادة اسمه الاسعاف الفوري وهو انتقال سيارة تحمل الكادر الطبي والأدوات حيث تكون الحالة بحيث تتم الولادة في احسن الظروف..

قلت للطبيب: كيف ترى الفلاح المصري؟

قال: الفلاح والفلاحة في نفس المستوى من الشجاعة في مواجهة الطبيب.. بلا



في بيت الثقافة الريفي

حرج يشرحون اعراض المرض.. ويلتزمون بالعلاج..

حدثت الدكتور كاظم عن ملاحظتي على صحة اطفال القرية..

قال: السبب الرئيسي هو البيئة الصحية: البيت الصحي، والماء نظيف، والشمس والتغذية السليمة.. وكذلك متابعة الكشف الطبي والعلاج السريع..

ابن عبد النبي - على سبيل المثال - أصيب بشلل الأطفال.. فقد اهمل أهله تلقيحه. اكتشفنا الحالة وكانت لحسن الحظ شللاً جزئياً بسيطاً بأحد عضلات الساق.. ارسلناه الى مستشفى الطفل العربي في بغداد وتم شفاؤه..

لقد نبهتنا هذه الحالة.. وقمنا بتطعيم شامل لأطفال القربة.. وامتدت الحملة الى القرى المجاورة..

بيت الثقافة الريفية بالخالصة مركز اشعاع تعليمي واجتماعي بكل معنى الكلمة

تتبعت نشاطه منذ البداية وكان رأي القائمين على العمل بالمركز ان الفلاحة المصرية مفتوحة العقل للتعليم وإنها شاطرة وذكية واجتماعية ولها شخصية.

في زيارتي الأخيرة لبيت الثقافة، كانت غرفة الخياطة تعمل حول مدفأة.. السلام برفرف والقلوب متآلفة..

جلست اتحدث مع فلاحة اسمها زينب.. تدير ماكينة الخياطة بينما طفلها على كتفها على الطريقة المألوفة في ريف مصر، ساق الى الخلف وإلى الامام ورأس الأم وهي السنادة.

قالت لي زينب إنها تعلمت الى جانب الحياكة الكروشيه في العام الماضي، وانتجت ثلاثة بلوفرات وفستان طفلة باعتها في المعرض لهذا تفكر زينب في شراء ماكينة خياطة.

ومنذ شهرين بدأت زينب المواظبة على دروس محو الأمية.

قالت لي لميعة اسماعيل الاخصائية الاجتماعية بالبيت ان فلاحات الخالصة يقبلن على دروس محو الأمية بحماس ملحوظ وأن درجة استيعابهن للدروس عالية.. وبعد عام ستكون فلاحات الخالصة في مستوى الصف الرابع الابتدائي.

وسألتها: ما هي أهم مشاكل فلاحات الخالصة؟

قالت: تعدد الزوجات وهي حالات قليلة في القرية

قلت: هل هناك أوجه نشاط أخرى للبيت بالنسبة للفلاحات:

قالت اضافة إلى الخياطة والطهي والتطريز، هناك مشروع لتربية الدواجن في البيت على أساس فني وعلمي، وسيقدم البيت لكل فلاحة تتردد على المركز خمسين دجاجة عمرها شهر وسنوفر لها الأعلاف

قلت: سمعت أن العقبة في تكوين فرقة مسرحية للقرية هي عدم تقدم العنصر النسائي لعضوية الفرقة.

قالت لميعة: لقد قمنا بإقناع فتاتين من بنات الخالصة بالانضمام إلى فرقة التمثيل.. وسوف ندعوك إلى مشاهدة أول عرض مسرحي.

وحين كنت اغادر غرفة الخياطة قالت لي لميعة:

- ستلاحظين عند زيارتك للبيوت.. أن عدداً كبيراً من الفلاحات اشترين ماكينات خياطة.. ونحن نعتبر هذا نجاحاً لنا.

وأمنت على كلامها.

* * *

دار الحديث بيني وبين الاستاذ علي حمزة عبد الحسين، مدير مركز الخالصة مبتدئاً من ظاهرة الاستقرار..

قال لي: كل الفلاحين يعبرون الآن عن رغبتهم الأكيدة في الاستقرار الدائم.. وهذه لهجة جديدة تختلف عن اللهجة التي كانت تظهر أحياناً في البداية..

كان الفلاح حين يواجه مشكلة يصرح بأنه سيرحل. أما الآن فهو يواجه المشكلة بمحاولة حلها وقد ساعد على ذلك قدرة أهل القرية على التكيف.. إن علاقاتهم بالمحيط الاجتماعي لا يمكن حصرها وهي تشير بالتأكيد إلى الاستقرار.

المركز لا يغلق أبوابه إلا في ساعة متأخرة من الليل في صدر النهار دروس الخياطة والطهي، بعدها تبدأ دروس محو الأمية.. بعدها تبدأ سهرة في القاعة الثقافية، حيث العرض المستمر لفقرات التلفزيون الملون، وحيث تتوفر الصحف اليومية والأسبوعية..

وهناك اضافة إلى هذا.. الحفلات.. مثل حفلة ليلة عيد الأضحى التي نقلها تلفزيون بغداد، والدورات التثقيفية التي نظم المركز أربعاً منها..

قال لي المدير:

لقد قدم لنا المسرح الريفي أربعة عروض مسرحية، ولدينا خطة لعرض افلام ترفيهية وتسجيلية ترتبط بحياة الفلاح وعمله..

إننا نهتم بربط نشاطنا بحياة الفلاح.. لذلك رشحنا اثنين من الفلاحين لتعليم سياقة الحراث.. وسوف ننظم دورات لتربية النحل.. وسندخل صناعة السجاد ضمن نشاط المركز وقد تدربت بعض المشرفات في دورات على هذه الصناعة ليعلمن الفلاحات..

أما أبناء الجيل الجديد.. فقد نجحنا في تكوين فرقة رياضية من بينهم لها الآن مكانة مرموقة في الناحية.. وسوف ننظم من خلال مركز النشاط الريفي زيارات ميدانية للوقوف على نواحي الزراعة المتطورة..



الفن في الخالصة

الفن في الخالصة

تعلمت من تجربة الخالصة الكثير من حقائق الحياة..

من هذه الحقائق أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بدون فن..

منذ الأيام الأولى... وكانت المشاغل كثيرة أمام أهل الخالصة سواء في الحقل أو في البيت.. أو في تنظيم الحياة العامة مثل انتخابات الجمعية التعاونية وإلحاق الأبناء بالمدارس القريبة كان الناس يبحثون عن.. الفن..

في البداية كانت وسيلتهم هي الراديو.. وفي رحلاتهم الأولى الى بغداد، عادوا بأجهزة الترانزستور..

وعلى عادتهم كفلاحين، كانوا يتحلقون جماعات حولها في الأمسيات..

كان وصولهم في الربيع، قد شجعهم على السهرات المفتوحة أمام البيوت في المساء.. واستمعوا من اذاعة بغداد إلى الأغاني التي اعتادوا عليها.. وإلى الأغنية العراقية.. لأول مرة..

ولكنهم أحسوا بأن شيئاً ينقصهم في الغناء: المواويل.. والموالد.. أي المدائح الدينية ذات النسيج الروائي..

وأدركوا أنهم في زحمة الأحداث والمشاغل، نسوا مسألة ضرورية هي الفن، ومفرداته التي اعتادوا عليها..

كان امامهم طريقان لتدارك هذا النسيان..

الطريق الأول هو البحث فيما بين المائة رجل- هم أهل القرية- عن مطرب شعبي فطري، وقد وجدوه..

بعد مباريات تلقائية بين عدد من الرجال لمع اسم محمد فارس. شاب من قرية ميت خلف مركز شبين الكوم، محافظة المنوفية في مصر، له صوت قوي وجعبته حافلة بمحفوظات متناثرة بحكم حبه الطبيعي للطرب الشعبي.

بدأ محمد فارس بتشجيع من أهل القرية يشارك في جلسات السمر المسائية ببعض محفوظاته ثم دخل مرحلة التأليف والارتجال..

المهم أن محمد فارس سجل التجربة فنياً بقدر طاقته، وبدافع من حماسه. وأصبحت مواويله هي مزيج من أبيات محفوظة، وأبيات من إبداعه التلقائي يدخل فيها اسم «الخالصة» والعراق والمسؤولين العراقيين ممن لهم ارتباط بالتجربة..

يقول محمد فارس في أحد مواويله:

من مصر للعراق
قدمت أوراق
وانا مشتاق.. لحبايي

★

تركت أحباب
تركت صحاب
لقيت أحباب.. وقرايبي.

★

نزلت بغداد
وقلت يا ريت
كان الحبيب.. هنا معنا

★

نطلع على دجلة
نشرب على الشط
كاس الود.. ونكرر المعنى

★

وعلى الفرات
الطير يغني
وموج الشط.. يسمعنا

★

أنا أسألك يا رب
لا أسأل أحد غيرك
قادر تلم الشمل
على الأحباب.. وتجمعنا.

وبدأ الفلاحون يبحثون عن وسائل أخرى لسد الفراغ.

خلال زيارتهم لبغداد، اكتشفوا أن اغلب أغانيهم الشعبية المفضلة تباع في محلات الأشرطة المسجلة. وبدأ البعض يدخر ليشتري مسجلات، وأصبح في القرية أكثر من مسجل وعشرات الأشرطة لأغاني محمد طه ومتقال قناوي متقال ومحمد رشدي وشفيق جلال..

وفي رحلات بعضهم إلى القاهرة، موفداً من الجمعية التعاونية لاستكمال بعض الاجراءات - وذلك في بداية التجربة - مثل أوراق التلاميذ كان يكلف بألا يعود دون مزيد من شرائط الأغاني الشعبية وخاصة موالد المطربة الشعبية (خضرة الشريفة).

باختصار اصبحت أمسيات القرية، سواء في سهراتها المفتوحة صيفاً، أو داخل البيوت شتاء حافلة بالألحان التي اعتادوا عليها..

ولكن الفلاح القادم من مصر لا يستطيع ان يعيش بدون (النكتة).. لهذا اقتنى بعض أهالي القرية أشرطة مسجلة لحفلات الفكاهة مثل حفلات أحمد غانم وأحمد الحداد..

ليدخل عنصر المرح والضحك في السهرات..

وحين اعتادت آذانهم من خلال الاستماع إلى اذاعة بغداد على اللهجة المحلية في الغناء بدأوا يضيفون إلى مقتنياتهم الغناء الشعبي العراقي، وقد اكتشفوا أن كثيراً من مفردات اللهجة المحلية في العراق، يقترب كثيراً من مفردات لهجة أهل صعيد مصر بالذات..

الفن في خدمة التجربة:

اعتاد أهل قرية الخالصة على استقبال كثير من الضيوف. وفود أجنبية ووفود عربية وجيران من الفلاحين العراقيين، ورحلات مدرسية من طلبة وطالبات المدارس العراقية. هنا حولوا فنهم إلى وسيلة من وسائل الترحيب بالضيوف.

في إحدى زياراتي للخالصة وعند مدخل القرية كانت تقف مجموعة من السيارات (الباصات) بينما تحلق حوالى مائة فتاة عراقية بزيهن المدرسي حول فلاح مصري اسمه ابراهيم عزام يقدم رقصة العصا الشهيرة في ريف مصرنا، ووقف المطرب محمد فارس يصاحب الرقصة بموال..

الجميل في الأمر أن الفتيات بدأن في أغنية جماعية رأين أنها مناسبة لرقصة الفلاح وهي أغنية المطرب الشعبي قناوي مثقال:

دقي يا ساعة وقولي بالحق..

الساعة كام أنا سامع دق..

وتحمس فلاح آخر وشق الصفوف ملوحاً بعصاه لينازل ابراهيم عزام..

بهذا المدخل الفني بدأت رحلة فتيات مدرسة (خولة بنت الأزور المتوسطة للبنات) بعد ذلك دخلن البيوت وزرن الحقول..

فن ترويض الخيل:

نعود إلى المطرب الشعبي محمد فارس وقصته مع فن آخر هو (فن ترويض الخيل) أول مرة رأيت فيها محمد فارس كانت منذ عامين كنت جالسة في مندرة أم جون حين سمعت رجلاً خارج الدار يتحدث بلهجة استعطاف: تعالي.. تعالي.. أنا مستعجل.. أنا عيان وأريد الذهاب الى الحقل.. كلا.. لا استطيع الركوب وأنت واقفة هكذا... ضحك الزوجان وشرحا لي الأمر.. قالا إن الحاج محمد فارس يتحدث إلى الفرس. خرجنا معاً ورأيت المشهد التالي شاب في نحو الثلاثين وقد أمسك بلجام فرس حمراء.. والفرس تمد ساقيها الأماميتين وإلى أمام والخلفيتين إلى الخلف ليقترب ظهرها من صاحبها الذي امتطاها دون جهد كأنه يجلس على مقعد.. قدماه لي: الحاج محمد فارس، هو الأعزب الوحيد الباقي في الخالصة... كانوا ستة تزوج خمسة منهم على مدار العام.. وبقي محمد يبحث عن عروس..

أما لقب الحاج فقد اكتسبه في الخالصة بعد أن قام باداء فريضة الحج من محصول الصيف.. وبعد أن عجز عن الاهتداء إلى عروس لا تكلفه مهراً غالياً.

علمت أنه من أكثر أبناء القرية قدرة على خلق العلاقات مع جيرانه العراقيين.. وحديثه مزدحم بأسماء أصدقائه منهم: عمي خلف، عمي أحمد الناصر، أخي عدنان.. تتطور لهجته العراقية بسرعة ملحوظة نتيجة لهذه العلاقات.. ومن خلال واحدة منها اشترى الفرس...

كان منطقه في شرائها أن الحمار هنا ضعيف والفرس تختصر المسافة من البيت إلى الحقل.. وفوق هذا فقد حقق حلماً من أحلام حياته...

سماها (سماح) لأن لها وجه سمح ويصفها وصف خبير: أصيلة.. وتقبل التعليم.. صغيرة واشتراها بخمسة وثلاثين ديناراً كما يقول..

في قرية المصيلحة القريبة من قريته كان يعيش رجل من أصدقاء أبيه يعمل سائس خيل.. ويقوم بتدريب الخيل لأثرياء الناحية بعد ترويضها..

عمي كمال عزام هو الذي علمني ترويض الخيل.. بعد ذلك مارست هوايتي في بيت الثقافة... كنا نروض الخيل على ان ترقص فنوناً شعبية.

سألت محمد فارس عن فن ترويض الخيل..

قال: كانت سماح مهرة صغيرة حين اشتريتها من جاري محمود الحارس، كانت شرسة تقاوم الترويض حركتها غير منظمة. بدأت بتدريبها على المشي الرشيق وأجعلها تدرك أن عليها واجبات، استخدمت أسلوبين: الردع لكبح جماح الشراسة الطبيعية فيها، بحيث تفهم أن العقاب هو عاقبة العصيان والأسلوب الثاني هو الثواب أي المكافأة بوجبة خاصة مثل السكر والحلويات إذا اطاعت الأوامر. بعد شهر عرفت ان اسمها سماح لأن ذلك تم بدون استخدام العقاب، ولكنها نفذت الأوامر بعد أسبوع من بداية التعليم...

كانت سماح في نهاية فترة التدريب تستجيب للطلبات التالية: الوقوف على ساقين. النوم، الوثب العالي، الرقص.

رسوم الأطفال:

مدرسة الخالصة الابتدائية، هي مدرسة يتجاور فيها التلاميذ المصريون والعراقيون جنباً إلى جنب. كان لهذه الجيرة أثر على تقارب اللهجات وأيضاً على رسوم الأطفال.

على جدران صفوف المدرسة تطالعك رسوم تلاميذها، لوحات كلها حركة، الألوان زاهية غالباً اللون الأخضر سائد بحكم ارتباط المكان بالزراعة. الفلاح هو الأساس تراه في اللوحات أضخم من حيوانات الحقل بينما تحفل اللوحات بعناصر الطبيعة الريفية: الشمس، الحيوانات، طيور الحقل، والألفة بين الإنسان والحيوان. تظهر شخصية الراعي وهو أيضاً أكبر من سيارات الطريق. التقط بصر الأطفال، حتى الفروق الدقيقة في أدوات الزراعة، الأدوات العراقية مثل

المسحاة والمسخنة، مسجلة بدقة في الرسوم.. كذلك سجل المناخ السياسي العام طابعه على رسوم الأطفال: أول أيار، العمل الشعبي، حرب اكتوبر، وهنا أيضاً نرى الجندي اكبر من الدبابة...

ولأن فن البوستر في العراق مزدهر نجد تأثير مشاهدات التلاميذ على بعض لوحاتهم فتبدو مزيجاً بين البوستر ورسم الطبيعة..

ولقد شاركت مدرسة الخالصة بلوحات من رسوم تلاميذها في المعرض السنوي للرسم..

★ ★ ★

لقد خرج من قرية الخالصة اكثر من عمل فني وخاصة خلال عامها الأول.

نجحت التجربة في أن تكون مصدر إلهام الفنانين، وأنتج التلفزيون العراقي فيلم حكايات من الخالصة للمخرج هاشم النحاس وانتجت شعبة السينما بوزارة الزراعة والاصلاح الزراعي فيلماً تسجيلياً عن القرية. وأقيم في بغداد ثم في الموصل معرض تصوير تحت شعار (الخالصة مرحبا) من عمل الفنانين الشبان بجمعية المصورين العراقيين...

وما زال اسم الخالصة يجذب مزيداً من اهتمام الفنانين والأدباء كمصدر إلهام لأعمال فنية متنوعة..

ولكن أهل الخالصة يصنعون أيضاً فنهم بأنفسهم، الجيل القديم، والجيل الجديد....

بطاقة هذا الفلاح

من هو فلاح مصر العربية؟

كيف اكتسب هذه السمعة الطيبة كصديق للأرض ومنتج لا يعرف طعم الراحة إلا حين يزدهر الحقل ويعطي ثمرته تحت أصعب الظروف.

هو فلاح قديم...

تقول الدراسات التاريخية ان فلاح مصر وفلاح بابل هما الأبوان الشرعيان للزراعة على ارض البشر...

لقد انتهى العلماء بعد خلاف إلى أن شرف ابداع الحضارة الانسانية يعود الى فلاح مصر وفلاح بابل.. لأن الإنسان قبل ان يكتشف الزراعة كان يعيش حياة أقرب إلى حياة الحيوان.. لا يستطيع ان يتحكم في الطبيعة.. إذا جادت عليه بالنبات البري كان بها وإلا مات جوعاً، وإذا استطاع أن يصطاد حيواناً برياً أكل، وإذا لم يستطع مات بلا حيلة.. او قتلته الوحوش التي حاول اصطيادها...

كانت الزراعة وما زالت أهم معارك الإنسان للسيطرة على الطبيعة.. وأروع انتصاراته منذ وجد على الأرض.

في ١٩٦٦ اكتشفت بعثة بولونية على امتداد المنطقة من توشكا في النوبة (إلى اسنا وادفو) في صعيد مصر، آلات زراعية من حجر الصوان عمرها ستة عشر الف سنة، منها آلات للحصاد مسنونة ومشرشرة، ومنها رحايات لطحن الحبوب.

في اقصى الصعيد... تعلم فلاح مصر أول درس من دروس الزراعة.. وهو ان الماء اصل النبات ومن هنا اكتشف ان النبات يمكن استنباته عن طريق البذور

المروية بماء النيل حين يفيض، وبمياه البئر حين ينضب الماء أيام التحاريق..

ثم استطاع ان يخضع الصوان لمتطلبات الحصاد، والفخار لمتطلبات الري والتخزين، والجرانيت لمتطلبات الطحن...

وعرف كيف يزرع، ويحصد، ويخزن ويعجن القمح والذرة والشعير ويستخدم الحمار البري لأغراضه الزراعية.

بذلك انتقل من مرحلة جمع الطعام إلى مرحلة انتاجه ومن مرحلة صيد الحيوان إلى مرحلة استئناسه ومن مرحلة الترحال والجري وراء المطر إلى مرحلة التحكم في الماء.وبناء البيوت من الطين.... أي تكوين القرى...

★ ★ ★

ولكن الاعتماد على النيل في الزراعة يحتاج إلى تنظيم مركزي... ونشأت بالتدريج سلطة واحدة تكون لها القدرة على تنظيم الري بشق القنوات وبناء السدود.. لتسيطر على هذا النهر الذي يفيض ثم يجف.

هكذا نشأت الدولة... ونشأت الملكية المستبدة في مصر الفرعونيه....

وما زال الفلاحون المصريون حتى اليوم يذكرون الملوك الفراعنة كرمز للاستبداد، ويطلق الفلاح على المستبد لفظ فرعون.. وكلمة يتفرعن على الميل للتعالي والاستعباد.

وفي نهاية الأسرة الملكية السادسة في مصر القديمة انفجرت ثورة شاملة كان هدفها القضاء على الدولة دون أن تقدر على بديل لها...

ولقد كان للفلاحين آمالهم في حياة آمنة من الظلم.. وهي آمال تلخصها قصة جميلة اسمها قصة الفلاح الفصيح...

فلاح من واحة قرب بني سويف يطلب من زوجته واسمها محبوبة، ان تعد له زاداً يكفيه فيرحلة إلى الوادي يبيع فيها منتجاته ويشتري احتياجاته....

وعندما اقترب بحميره من الوادي ترصد له شرير من أغنياء المنطقة، ضربه وانتزع حميرة بحمولتها.. فتقدم بشكوى إلى الوزير، واعجب الوزير بفصاحته ونقل قصته إلى الملك. وطلب الملك - على سبيل التسلية - أن يطيل الوزير حبال الموضوع.. وبدأ الفلاح يتردد على باب الوزير يشكو من الظلم ويحلم في الوقت نفسه بحكومة عادلة..

يقول الفلاح:

« طردت العدالة من مكانها وركعت ذليلة.. وكبار الموظفين يقترفون السيئات والقضاة يسرقون.. والمظلوم تطول شكواه ».. وتطول شكوى الفلاح فيهاجم الوزير بعنف:

« أنت صاحب سفينة لا تحمل الا من ينقد اجرة الركوب... تعيش بين الناس بغريزة الصقر الذي يفترس ضعاف الطير.. » ويأمر الوزير بجلد الفلاح بالسياط فلا يزيد الا اصراراً.

« أنت حارس مدينة يسرق.. وقد تحولت من وزير الى قدوة لعصابات الاجرام. لقد وليت حاكماً لتعاقب المجرم.. فأصبحت نصيراً للصوص ».

ثم يقول الفلاح بصوت عال:

« إذا حقق القاضي بالعدل أحيا الصدق وأمات الكذب، وأقام الخير ومحا آثار الشر وكان مثل الشبع الذي يذهب بالجوع والثوب الذي يستر العري ».

وحلم الفلاحين في دولة عادلة وحاكم عطوف، يظل حلماً بعيد المنال طوال حكم الفراعنة ثم في فترات احتلال الأجنبي وخلال حكم البطالسة الذي استمر ثلاثة قرون كان قانون السخرة هو العمود الفقري للحكم، ولجأ الفلاحون الى الاضراب عن العمل وهجرة الحقول الى الصحراء.... ونقص عدد الفلاحين وانكمشت الأرض الزراعية..

وفي عام ٢٤٦ قبل الميلاد انفجرت ثورة الفلاحين في الوجه البحري، وقمع

بطليموس الثالث الثورة بالجيش.. ولكن الثورة تجددت في الصعيد ثم امتدت لتشمل القطر كله في عهد بطليموس الخامس..

ودخل الاسلام مصر ومبادئه تحمل بشائر العدل الاجتماعي، فلم يكن الاسلام يجيز الاقطاع او السخرة

بل يربط بين ملكية الأرض وعمل الإنسان عليها..

غير ان مبادىء الاسلام خرجت على أيدي الولاة بالتدريج على اصلها.. وعاد الفلاحون يعانون من ظلم الولاة وموظفيهم ومن السلاطين وجنودهم.. وهو ظلم ناشىء عن جمع الضرائب الباهظة على أرض لا يملكونها ولا يضمنون البقاء عليها.

وشيئاً فشيئاً اقترب الفلاحون من عصر الظلام.. عصر المماليك والعثمانيين. كان النهب شريعة تلك السنين..

وتحمل الينا كتب التاريخ شهادات دامية عن مظالم ذلك العهد..

يقول ابن أياس المؤرخ:

« سافر إلى الشرقية جان بك، دوادار الأمير قايتباي ومعه المباشرون.. وصاروا ينزلون إلى البلاد ويقررون عليها المال ويضعون الفلاحين في الحديد بعد الضرب المؤلم. ويقررون على كل بلد ما يختارونه من الأموال..

وخرب في هذه الحركة غالب بلاد الشرقية ورحل عنها الفلاحون ».

ويحكي الجبرتي:

« انقضت هذه السنة - كالتي قبلها - في الشدة والغلاء وقصور النيل والفتن المستمرة وتواتر المصادرات والمظالم من الأمراء وانتشار اتباعهم في النواحي لجلب الأموال من القرى والبلدان واحداث أنواع المظالم حتى أهلكوا الفلاحين وضاق ذرعهم واشتد كربهم وطفشوا من بلادهم وانتشروا في المدينة يصيحون من الجوع ».

وفي يوليو تموز ١٧٩٨ دخل الفرنسيون مصر - وكانت مصر يومها بين فكي كماشة - العثمانيين والمماليك...

شركة شيطانية للسلب والنهب... وتصدى الفلاحون لمقاومة الاحتلال الفرنسي.... كتب ريبو المؤرخ الفرنسي:

«كان الجنود الفرنسيون يعملون على اخماد الثورة باطلاق الرصاص على الفلاحين وفرض الغرامات على البلاد... ولكن الثورة كانت مثل حية ذات مائة رأس كلما اخمدها السيف والنار في ناحية، ظهرت في ناحية اخرى اقوى وأشد».

أما المماليك فقد قاوموا أول الأمر ثم تخاذلوا بعد ذلك.. ويعلق الجبرتي على موقفهم بقوله أسد علي وفي الحروب نعامة اشارة الى تجبرهم على المصريين وتخاذلهم أمام الفرنسيين... يقال عادة: إن محمد علي باشا الكبير هو الذي بنى الدولة العصرية في مصر.....

هذا صحيح... ولكن على بحر من دماء الفلاحين المصريين..

لقد أسس محمد علي جيشاً من الفلاحين ألقى به في مغامرات عسكرية إلى الأناضول والسودان واليونان والحبشة والمكسيك وأقام محمد علي منشآت مائية عظيمة على النيل بالسخرة...... يقول الجبرتي: أمر الباشا حكام الجهات بالأرياف بجمع الفلاحين للعمل في ترعة الأشرقية فأخذوا في جمعهم..

كانوا يربطونهم بالحبال ومن سقط منهم أهالوا عليه تراب الحفر ولو فيه الروح..

وفي عام ١٨٥٩ بدأ الفلاحون يحفرون قناة السويس..

بنظام السخرة..

وصل عددهم في موقع العمل الى ربع مليون فلاح في بلد كان تعداد سكانه خمسة ملايين نسمة...

وقد قاوم الفلاحون نظام السخرة على مدار أربع سنوات حتى أوقفوه.. وكان

الظلم الذي وقع عليهم في سنوات حفر قناة السويس سبباً من أسباب انفجار ثورة أحمد عرابي عام ١٨٨٢ وهو أحد أبناء الفلاحين.

بدأت الثورة بالدفاع عن حق أبناء الفلاحين في الترقي من تحت السلاح وتطورت لتطالب بحكومة وطنية وبرلمان، وأصبح للفلاحين لأول مرة في تاريخهم قائد كان يحلم بأن يمحو عنهم الأمية وأن يمنع عنهم السخرة إلى الأبد، وأن ينشر لهم نظاماً قضائياً يحميهم من الظلم..... واطلق الفلاحون على زعيمهم اسم (حامي الديار) ولكن الاستعمار والاقطاع والقصر تآمروا على الثورة والتف الفلاحون حول قائدهم وقاموا... ولكن المؤامرة كانت أكبر من طاقتهم..

* * *

عاش الفلاحون في ظلام الاحتلال البريطاني ربع قرن... ومثلما كان نظام السخرة في حفر قناة السويس سبباً من أسباب ثورة ١٨٨٢ ... عاد هذا النظام اللاإنساني ليكون سبباً من أسباب ثورة ١٩١٩ ...

فقد سخرت بريطانيا في عمليات الحرب العالمية الأولى نصف مليون من الفلاحين المصريين.....

وما أن انتهت الحرب حتى انفجرت الثورة.....

واستشهد الفلاحون بالألوف، وأعدم منهم العشرات

وسجن منهم المئات ومنحوا الثورة طابع العنف.

ولعل مكسبهم الوحيد من الثورة أن نظام السخرة سقط إلى الأبد....

في عام ١٩٢٤ انتهت أعمال ثورة ١٩١٩.

وفي عام ١٩٥١ ... أي بعد ربع قرن كان الفلا ون يمهدون لثورة جديدة... بانتفاضات عنيفة ضد الاقطاع في كفور نجم وميت فضالة وأبو الغيط وبهوت....

وبعد عام واحد من انتفاضات الفلاحين قامت ثورة ١٩٥٢ وكان ضمن شعاراتها الأساسية: القضاء على الاقطاع..

وصدرت قوانين الاصلاح الزراعي على التوالي في ١٩٥٢ ثم في ١٩٦١ لتجعل الحد الأعلى للملكية مائة فدان... وتوزيع ما يتم الاستيلاء عليه من الأرض الزراعية على الفلاحين.....

رحلة طويلة وشاقة تلك التي قطعها الفلاح في مصر..

ولكنه ظل رغم المظالم والعقبات. وحروب المقاومة والثورات يزرع الأرض ويكشف طبيعتها اكثر فأكثر، ويكسب سمعته في الزراعة بالصبر، والعمل، على نطاق العالم....

واليوم... ينتقل الفلاح المصري الى أرض أرحب.... هي الأرض العربية في العراق تحيطه رعاية أخوية، نابعة من حس قومي مرهف، وتقدير كبير لقيمة هذا الفلاح الذي تحمل فوق ما يحمل البشر... واستمر مع ذلك يزرع الأرض لتزدهر... بغير يأس....

تقرير مفصل عن الطلبة المصريين في قرية الخالصة

بتاريخ ١٩٧٥/٣/٣١ التحق الطلبة المصريون والبالغ عددهم (٤١) طالباً، وطالبة في مدرسة أبو عبيدة بن الجراح، في مشروع الوحدة.. لأن مدرستنا الإصلاح كانت في بنائها القديم البعيد عن القرية.

في بداية السنة الدراسية ١٩٧٧/٧٦ تحول جميع الطلبة المصريين من مدرسة أبو عبيدة الى مدرستنا بعد أن انتقل الى بنائها الجديد في نفس القرية..

كانت نتائج الطلاب المصريين في السنة الأولى سيئة جداً. فقد نجح ثلاثة طلاب فحسب من بين ٤١ طالباً.

السبب في ذلك هو التحاقهم المتأخر بالمدرسة قرب نهاية السنة الدراسية ٩٧٦/٧٥ وأوضاع عائلاتهم التي لم تكن قد استقرت بعد..

في نهاية السنة الدراسية ٩٧٧/٧٦ أصبحت نسبة النجاح للطلاب المصريين ٩٠٪ فقد اشترك في الامتحان ٥٠ طالباً، وطالبة، لم يرسب منهم سوى خمسة طلاب فحسب..

أما نتائج السنة الدراسية ١٩٧٨/٧٧ فقد زادت نسبة نجاحهم وبلغت ٩٢٪. فقد شارك في الامتحانات النهائية ٤٣ طالباً وطالبة ولم يرسب منهم سوى ثلاثة فحسب..

في السنة الدراسية الحالية تم فتح مدرسة مسائية في نفس بناء المدرسة الصباحية، انضم إليها الطلاب المصريون الذين يساعدون اولياء أمورهم في المزارع..

بعد صدور الحملة الوطنية الشاملة لمحو الأمية انضم الفلاحون الى صفوفهم وهم منتظمون بها بشكل جيد ونتائجهم ممتازة..

بعد مرور ثلاثة أعوام على التجربة أصبحت العلاقة بين الطالب المصري والطالب العراقي علاقة محبة وتعاون وتعاطف والآن لا نستطيع التمييز بين الطالب المصري والطالب العراقي والسبب استخدام الجميع اللهجة العراقية.

صلاح محسن
مدير المدرسة

جمعية الوحدة العربية الفلاحية التعاونية

تاريخ وصول العوائل الفلاحية المصرية إلى القطر

١- الوجبة الأولى في ١٩٧٦/٢/١٧
٢- الوجبة الثانية في ١٩٧٦/٣/٢٨
٣- الوجبة الثالثة في ١٩٧٦/٣/٣١
٤- الوجبة الرابعة في ٩ /١٩٧٦/٤

عدد الدور المخصصة الى العوائل في قرية الخالصة هي:
١٠٠ دار كل دار تحتوي على:
أ- ثلاث غرف.
ب- حمام ومطبخ ومرافق اخرى.
جـ- حظيرة للأبقار.
مساحة الدار الواحدة ٤٠٠ م٢.

الخدمات الاجتماعية
١- مستوصف صحي وعيادة شعبية مسائية واسعاف فوري.
٢- بيت الثقافة الريفي.
٣- مجمع مائي.
٤- دائرة بريد.
٥- مسجد.
٦- مدرسة ابتدائية مختلطة ٢.
٧- سوق عصري.
٨- خط مصلحة نقل الركاب.
٩- القرية مجهزة بالكهرباء.

* مساحة منطقة عمل الجمعية ١٦٢٥ دونم لعام ١٩٧٧/٧٦.
* مساحة منطقة عمل الجمعية ابتداء من الموسم الشتوي ١٩٧٩/٧٨، ١٧٨٨ دونم

عدد الفلاحين في موسم الأول ١٩٧٦ ١٠٠ فلاح.

أول خطة زراعية تعد للتعاونية بعد وصول العوائل المصرية الى القطر .

أول خطة زراعية للتعاونية
بعد وصول العوائل المصرية إلى القطر

خطة الموسم الزراعي الصيفي ١٩٧٧ والشتوي ١٩٧٨/٩٧٧

١ - الصيفي

المحصول	المساحة	كمية البذور كغم	القرض دينار	نوعه السماد	الكمية	القرض	المجموع
١ - خيار	١٠٠	٨٠	٢٨٠	يوريا	٥	١١٥	٤٨٠
				سوبر	٥	٣٦٥	
٢ - طماطه	١٠٠	٢٥	٧٥	يوريا	٥	١١٥	٤٨٠
				سوبر	٥		
٣ - باميا	١٠٠	٥٠٠	٢٥٠	يوريا	٥	١١٥	٤٨٠
				سوبر	٥	٣٦٥	
٤ - لوبيا	١٠٠	٨٠٠	٤٠٠	يوريا	٥	١١٥	٤٨٠
				سوبر	٥	٣٦٥	
٥ - قطن	٢٠٠	١٦٠	٥٦	يوريا	١٠	٢٣٠	٥٩٥
				سوبر	٥	٣٦٥	
٦ - فلفل	٥٠	١٥	٥٢				
٧ - باذنجان	٥٠	٢٥	٦٢	يوريا	٥	١١٥	٤٨٠
٨ - شجر	٥٠	٤٠	٢٥	سوبر	-	١٦٥	
المجموع	٧٥٠	١١٩٠					

٢ - الشتوي

المحصول	المساحة	كمية البذور كغم	القرض	نوع السماد	الكمية	القرض	المجموع
حنطة	٢٠٠	٥٠٠٠	٣٢٠	يوريا	١٠	٢٧٠	
شعير	١٠٠	٢٥٠٠	١٤٢,٥٠٠	سوبر	١٠	٧٤٥	
برسيم	٥٠	٥٠٠	٢٠٦,٧٩٠				
جت	٥٠	٥٠٠	٣٦٥,٥٠٠				
ذرة صفراء	١٠٠	١٠٠٠	٨٠	يوريا	٥	١٣٥	
				سوبر	٥	٣٧٢	
باقلاء	١٠٠	٣٠٠٠	٦٧٥				
سبيناخ	٥٠	٣٥٠	٣٥٠				
سلق	٥٠	٤٠٠	٢٠٠				
شلغم	٥٠	١٥٠	٧٥				
بصل	٥٠	٦٠٠٠	٣٦٠	يوريا	٢	٥٤	
				سوبر	١	٧٤/٥٢٧	
بطاطا	٥٠	٢٥٠٠٠	٢٢٥٠	يوريا	٢	٥٤	
				سوبر	٣	٢٢٣/٥٨١	
المجموع	٨٥٠	٥٠٢٥,٥٠٠				١٩٢٩,٠١٥	

المجموع الكلي للقروض المرصودة ١٣٢٥٤/٣٤٠ دينار شتوي وصيفي.

الخطة الزراعية للموسم الصيفي ١٩٧٨ والشتوي ١٩٧٩/٧٨ .

١- الصيفي

نوع المحصول	المساحة	كمية البذور	القرض	نوع السماد	كمية/طن	القرض
١- لوبيا	١٥٠	١٢٠٠	٣٦٠	يوريا	٤	٨٢
				سوبر	٣	٢١٣
٢- خيار	١٣٠	٩٠	٣٢٦	يوريا	٤	٨٢
				سوبر	٣	٢١٣
٣- باميا	٨٠	٨٦	٢٠٠	يوريا	٢	٤١
				سوبر	٢	١٤٢
٤- بطيخ	٥٠	٨٠	٥٠	يوريا	٢,٥	.٥١/٢٥٠
				سوبر	٢,٥	١٧٧/٥٠٠
٥- بادنجان	١٠	٤	٧	يوريا	٥٪	١٠/٢٥٠
				سوبر	٥٪	١٧٥/٥٠٠
٦- قطن	٨٠	٨٠٠	٢٨	يوريا	٤	٨٢
				سوبر	٢	١٤٢
المجموع			٩٧١			١٢٨٥

القرض المرصد للحراثة للموسم الصيفي ٢٢,٥ دينار .

٢- الشتوي

اسم المحصول	المساحة	كمية البذور		نوع السماد	كميته	القرض
١- شعير	٨٠٠	٢٠٠٠	١٢٠٠	سوبر	٤٠	٨٢٠
				يوريا	١٦	١١٣٦
٢- باقلاء	١٢٠	٣٥٠٠	٧٥٦	يوريا	٣	٦١,٥
٣- برسيم	١٦٠	١٦٠٠	٧٤٠	يوريا	٤	٨٢
٤- لهانة	٢٥	٩٧	٨٧,٥٠٠	سوبر	٢	١٤٢
				يوريا	١	٢٠,٥٠٠
٥- بصل	١٠	١٠٠٠	٨٥	سوبر	٥٪	١٠,٥٠٠
				يوريا	١	٧١
٦- بزاليا	٥	٢٢	١١	يوريا	٥٪	١٠,٥٠
	١١٢٠		٢٧٩١			٢٤٣٠

القرض المرصد للحراثة الموسم الشتوي ٣٥٠٠ دينار.

الخطة التي تم تنفيذها للمحاصيل الزراعية للجمعية للمواسم الصيفية والشتوية.

المحصول الصيفي المنفذ ١٩٧٦.

اسم المحصول	المساحة	البذور	القيمة	نوع السماد	الكمية	القيمة	
١- رقي	١٠٠	٧٠	٥٤،٨٥٠	يوريا	٢٠ طن	٤١٠	الأسمدة وزعت
٢- بطيخ	١٠٠	٦٠	٧٤/٩٠٤	سوبر	٣٥	٢٤٦٦٦/٧٦٥	على جميع المحاصيل
٣- باميا	١٠٥	٤٠٨	٢٠٤	سلفات	١٠	١١٥	الصيفية والشتوية
٤- خيار	١٢٥	٨٣/٨٧٥	٣١٥/٢٨٩				
٥- لوبيا	٨٠	٦٠٠	٢٢٢/٩٦٠				
المجموع	٥١٠						

كما تم زراعة:

١- شجر ٥ كغم بقيمة ١٠ دنانير.
٢- عباد الشمس ٢٠٠ كغم ٢٦ دينار.
٣- ذرة صفراء ٢٠ طن ٢٠٠ دينار.
٤- ذرة صفراء ٢٠٠ كغم ١٦ دينار.

السموم المستعملة لمكافحة الأمراض هي:
١- سموم كارانيت ٤٩ كغم ٣٥،٢٨٠ دينار.
٢- سموم سفن ٣٨ كغم ١٩/٣٨٠ دينار
٣- سموم مالاثيون ٢٥٠ ليتر ١٠٦،٢٥٠ دينار.

المحصول الزراعي الشتوي ١٩٧٧/٧٦

اسم المحصول	المساحة	كمية البذور طن	القيمة دينار	نوع السماد	الكمية	القيمة
١- شعير	٩٠٠	٣٠ طن محسن	١٣٥٣	سوبر	٩	٦٣٤،٣١١
		١٤/٨٠٠ عادي	٤٦٦،٢٠٠	سلفات	٣٠	٤٦٥
٢- برسيم	٣٣٠	٤،٤٢٩	٢٧٩٥/٨٠٦			
المجموع	١٢٣٠					

الإنتاج الكلي لمحصول الشعير ٢٦٠/٨٦٧ طن.
المساحة المحصودة ٩٠٠ دونم
عدد الأعضاء ٩٥ عضو.
الكمية المسوقة للشعير.
٢٤٤/٩٦٧ طن قيمتها ٩٧٩٨،٦٨٠ دينار.
سعر طن الشعير ٤٠ ديناراً.

المحاصيل الصيفية المنفذة لعام ١٩٧٧.

اسم المحصول	المساحة	كمية البذور	القيمة	جهة التجهيز
١- لوبيا	١٠٠	١٠٠٠	٣٠٠	مديرية البستنة العامة.
٢- باميا	١٠٠	٥٠٠	٢٥٠	مديرية البستنة العامة.
٣- خيار	٥٠	ذاتي		مديرية البستنة العامة
٤- بطيخ	١٠٠	٥٠	١٠٠	مديرية البستنة العامة
٥- فلفل	٥٠	٢٥	٥٠	مديرية البستنة العامة.
٦- باذنجان	٥٠	٢٥	٨٧٫٥٠٠	مديرية البستنة العامة
٧- شجر	٥٠	٢٥	٥٠	مديرية البستنة العامة
٨- قطن	٥٠	٥٠٠		مديرية البستنة العامة
٩- ذرة	١٤٦	١١٥٠	١١٥	مشروع انتاج الذرة

التسويق التعاوني

١- ٢٩/٩٤١ طن ذرة صفراء بقيمة ١٠٤٧/١٣٢ دينار.

الخطة الزراعية المنفذة للموسم الشتوي ١٩٧٨/٧٧.

اسم المحصول	المساحة	كمية	القيمة
١- شعير	٨٠٠	١٢/٨١٠	
٢- باقلاء	٣٠٠		
٣- برسيم	٤٥٠		
٤- بصل			
٥- لهانة	٢٠		
٦- قرنابيط	٢٠		
٧- بنجر	٥		

التسويق التعاوني

١٩٤٫٤٥٩ طن شعير.

٧٤٠٠٫٤٧٢ دينار.

المحاصيل الزراعية الصيفية المنفذ لعام ١٩٧٨.

١- لوبيا	١٢٦
٢- باميا	٦٥
٣- خيار	١٢٧
٤- باذنجان	٤٢
٥- ذرة صفراء	٨٠
المجموع	٤٤٠

تقرير موجز عن تجربة الفلاحين المصريين الزراعية في قرية الخالصة

مقدمة

انسجاماً مع الأهداف القومية الكبرى التي نادى بها حزب البعث العربي الاشتراكي، وانطلاقاً من مبادىء ثورة السابع عشر من تموز المجيدة وتأكيداً للأهداف الاستراتيجية للحزب القائد على الاستغلال الامثل والكامل للأراضي الزراعية في القطر العراقي بأيدي عراقية وعربية للاستفادة من الطاقات العربية المعطلة في أقطارها بسبب سوء التوزيع السكاني الذي أدى الى كثافة سكانية عالية في بعض الأقطار ونقص واضح في أقطار أخرى. كما أولت الثورة اهتماماً كبيراً بالقطاع الزراعي بشكل عام والحركة التعاونية بشكل خاص باعتبارها الركيزة الاساسية للتحول الاشتراكي في الريف وخلق ريف اشتراكي متطور يساهم في النهضة القومية الشاملة عن طريق تعزيز الاقتصاد القومي على اعتبار الزراعة أحد القوائم الرئيسية في الاقتصاد (الزراعة نفط دائم).

وعليه تم الاتفاق بين الاتحاد العام للجمعيات الفلاحية التعاونية في القطر العراقي مع الامانة العامة لاتحاد الفلاحين المصريين في القطر المصري على استقدام عدد من العوائل الفلاحية الى العراق والعمل في الزراعة. وقد وصلت فعلاً ١٠١ عائلة الى قرية الخالصة والتي تم بناؤها مسبقاً عن طريق العمل الشعبي في مشروع الوحدة الزراعي. وقد تم تأسيس تعاونية زراعية خاصة بالعوائل الفلاحية المصرية الوافدة الى العراق لتقديم الخدمات المختلفة للاعضاء اسوة بالفلاحين العراقيين.

تأسيس التعاونية

وصلت كافة العوائل الفلاحية المصرية الى قرية الخالصة في الفترة الزمنية المحصورة بين ٩٧٦/٢/١٧ و ١٩٧٦/٤/٩ على شكل وجبات متتالية كما هو موضح في ادناه:

الوجبة الاولى	٧ عوائل	بتاريخ ٩٧٦/٢/١٧
الوجبة الثانية	٥٨ عائلة	بتاريخ ٩٧٦/٣/٢٨
الوجبة الثالثة	٢٨ عائلة	بتاريخ ٩٧٦/٣/٣١
الوجبة الرابعة	٧ عوائل	بتاريخ ١٩٧٦/٤/٩
	١٠٠ عائلة	

وهناك عائلة واحدة اسكنت في مشروع ٧ نيسان وبتاريخ ٩٧٦/٤/١٤ قامت هيئة المشاريع الزراعية بتأسيس تعاونية باسم تعاونية الوحدة العربية. وفي ٩٧٦/٥/٥ تم انتخاب مجلس إدارة للتعاونية من بين أعضاء الهيئة العامة حسب النظام الداخلي للجمعيات الفلاحية التعاونية المعمول به في القطر العراقي وقد وضعت تحت ادارة هذه التعاونية مساحة قدرها ١٦٢٥ دونم من الارض المستصلحة حديثاً من قبل المؤسسة العامة للتربة واستصلاح الاراضي في المقاطعة ٤ الحميضة وقد وزعت على الاعضاء على الشكل التالي:

٥٥ عائلة	١٥ دونم	عدد افرادها اقل من أربعة
٤٠ عائلة	٢٠ دونم	عدد افرادها اكثر من أربعة

وهناك مخابرة حول إعادة توزيع الأرض مجدداً بما ينسجم مع ما هو منفذ من نظامي الري والبزل في المشروع وبذلك سوف تزيد الارض لكل عائلة فلاحية علماً بأن عدد العوائل الفلاحية المصرية الموجودة حالياً في القرية هي ٨٢ عائلة فقط وهذا النقص في عدد العوائل من ١٠٠ الى ٨٢ جاء نتيجة لعدم توفر الشروط

المتفق عليها مع الجانب المصري في بعض الاعضاء الذي قدموا الى العراق مثل عدم امتهان الزراعة والعزوبة وتم الاتفاق بخصوصهم مع الجانب المصري على مغادرتهم القرية.

وقد بلغ رأسمال التعاونية عند تأسيسها والمتأتي من مساهمة الاعضاء أنفسهم ٢٤٦ ديناراً و٤٦ احتياطي للتعاونية.

التسهيلات التي قدمتها الدولة الى عوائل الفلاحية المصرية

١- وضعت مساحة ٥٠٠ دونم مزروعة بالحنطة عن مزرعة الدولة في مشروع الوحدة تحت تصرف تعاونية الوحدة العربية بدون مقابل حيث بلغت تكاليف هذه المساحة على المشروع ٣٠٣٨ ديناراً.

٢- صرف منحة قدرها ٥٠ ديناراً الى كل عائلة فلاحية مصرية.

٣- تخصيص راتب شهري مقطوع قدره ٣٠ ديناراً لكل عضو ولا زال مستمراً لحد الان.

٤- قام الرفيق الاستاذ عزة ابراهيم بزيارة العوائل الفلاحية وقدم لهم هدية السيد رئيس الجمهورية المهيب أحمد حسن البكر البالغة ٢٠ طن حنطة من النوع الجيد لغرض الاعاشة.

٥- جهزت كل عائلة فلاحية ببقرة حلوب مع ٢٠ دجاجة بيوض.

٦- توزيع مؤونة إعاشة عينيه تكفي لمدة شهر واحد لكل عائلة مثل الرز والطحين والسمن والسكر والشاي... الخ.

٧- وضع الاتحاد العام للجمعيات الفلاحية التعاونية مبلغ ٢٠٠٠ دينار تحت تصرف المشروع لصرفها على العوائل الفلاحية بشكل سلف للاغراض الطارئة والضرورية مثل المرض والسفر والزواج وبقية الحالات الأخرى.

٨- اصدر مجلس قيادة الثورة الموقر قراره المرقم ٢٣٥ في ٨/٥/٩٧٧ الذي

ينص على اعفاء اعضاء تعاونية الوحدة العربية من مبلغ قدره ٩٣٣٢١,٥٠٣ دينار عن مصاريف النقل والاعاشة وتكاليف الاسكان وتأثيث البيوت بالإضافة الى تكاليف زراعة الموسمين الصيفى ٩٧٦ والشتوي ١٩٧٧/٧٦.

هذا وان القرية بالإضافة الى ما ورد اعلاه تحظى باهتمام المسؤولين ورعايتهم واشرافهم على تطوير التجربة وتعميقها.

الوضع الزراعي

الخطة الزراعية

الموسم الصيفي/١٩٧٦

المساحة المزروعة بالدونم	نوع المحصول
١٠٠	رقي
١٠٠	بطيخ
١٠٥	باميا
٨٥	لوبيا
١٢٥	خيار قثاء
٥١٥ المجموع	

الموسم الشتوي ١٩٧٦/١٩٧٧.

المساحة المزروعة

المساحة المزروعة بالدونم	نوع المحصول
٩٠٠	شعير
٣٣٠	برسيم
١٠٠	جت
١٣٣٠	

الموسم الصيفي/١٩٧٧

المساحة المزروعة بالدونم	نوع المحصول
١٠٠	لوبيا
١٠٠	بطيخ
١٠٠	باميا
٥٠	باذنجان
٥٠	شجر
٥٠	فلفل
٥٠	خيار قثاء
٥٠	قطن
٥٥٠ المجموع	

بالإضافة الى ١٠٠ دونم ذرة صفراء و٣٠ دونم قطن زرعت من قبل مديرية مشروع الوحدة في الارض المستصلحة حديثاً وزعت على أساس دونم الى دونمين على كل عائلة.

الموسم الشتوي ٩٧٧ - ١٩٧٨

المساحة المزروعة بالدونم	نوع المحصول
٤٠٠	برسيم
٢٠٠	باقلاء
٨٠٠	شعير
٨٠	بصل (دايات)
٢٠	قرنابيط
٢٠	لهانة
١٥٢٠ المجموع	

الثروة الحيوانية

توجد لدى أعضاء التعاونية اعداد الثروة الحيوانية التالية:

العدد	النوع
٨٥	بقرة مضربة
٢٤	بقرة محلية
١٠٥	حمار (يستعمل في الاغراض الحقلية)
٤	خيول

وبالنظر لوجود ٤٠٠ دونم برسيم قائمة في الوقت الحاضر ولجودة موسم الامطار مما أدى الى عدم استطاعة التعاونية من تصريف البرسيم ولذلك قام اعضاء التعاونية بشراء عجول من السوق المحلي تتراوح اعدادها من ٢ الى ٤ لأغلب اعضاء التعاونية للاستفادة من البرسيم في تغذية هذه العجول وبيعها عند انتهائه. وقد استغل مبلغ سلفة الاتحاد البالغة (- /٢٠٠٠) دينار لهذا الغرض بالاضافة الى المبالغ التي دفعت من قبل الاعضاء انفسهم.

وهناك اقتراح في طريقة الى التنفيذ لإنشاء اربعة قاعات للدواجن بسعة ستة آلاف فروجة للقاعة الواحدة تدار من قبل اربعة مجاميع فلاحية عدد اعضاء المجموعة الواحدة عشرة اعضاء

تقييم المواسم الزراعية

لم يكن الموسم الزراعي الصيفي ١٩٧٦٪ والذي يمثل بداية توزيع العوائل الفلاحية المصرية بشكل عام ذا مردود اقتصادي جيد وذلك للأسباب التالية:

١- يعتبر استغلال الارض التي نفذ عليها الموسم الزراعي المذكور تحت مرحلة الاستزراع وهي مرحلة مكملة لعملية استصلاح الارض.

٢- تأثير وصول العوائل الفلاحية وقيام الزرعة بوقت متأخر كما يتبين من توزيع محصول هذه العوائل.

٣ - اعتبر هذا الموسم كتدريبي بالنسبة للعوائل الفلاحية المصرية .

أما تسويق حاصلات هذا الموسم فقد تم عن طريق الاعضاء انفسهم بصورة فردية ومباشرة الى الأسواق: المحلي مثل جسر ديالى والعزيزية وأسواق بغداد المختلفة مما أدى الى عدم معرفة كمية الانتاج ودخل الفلاح من هذا الموسم.

الموسم الشتوي ١٩٧٦ - ١٩٧٧ .

انتجت التعاونية (٢٧٥) طن من الشعير سوقت منها ٢٤٤ طن عن طريق مركز تسويق ٧ نيسان بلغت اقيامها (-/١١٢٠٠) دينار واحتفظ الفلاحون بالباقي لديهم للاستفادة منه كما قام قسم منهم ببيع البرسيم كعلف اخضر على الفلاحين العراقيين المجاورين وبيع مخلفات الحقول من (التبن والجل) وتراوحت دخول بعض الأعضاء من هذه العملية بين (٥٠ دينار) إلى(٥٠٠ دينار) حسب نوعية أرض كل عضو ومقدار الجهود المبذولة من قبله .

الموسم الصيفي/١٩٧٧

قامت التعاونية بتسويق (٢) طن من القطن ولا يزال التسويق مستمراً كما سوقت (٢٢) طن ذرة صفراء وقامت بتسديد اقيام مستلزمات زراعتها الى الدوائر المختلفة بالكامل وتعتبر انتاجية هذا الموسم بين المتوسط والجيد.

الموسم الشتوي ١٩٧٧/١٩٧٨

لا زال الزرع قائماً وهو بحالة جيدة جداً ويلاحظ بصورة عامة تطور الزراعة من موسم الى آخر نحو الأحسن وذلك لتكامل استصلاح التربة بسبب تعاقب المواسم الزراعية عليها. وقيام أعضاء التعاونية باستعمال الأسمدة بصورة متكاملة كما هو مقرر لكل محصول وكذلك قيامها بأعمال المكافحة حسب ارشاد المسؤولين.

الحالة الاجتماعية

إن العوائل الفلاحية المصرية جاءت من(٧) محافظات مختلفة من القطر المصري مثل (بني سويف/المنوفية/الشرقية وغيرها مما أدى إلى ظهور بعض الخلافات بين هذه العوائل وخاصة عند انتخاب رئيس وأعضاء مجلس الإدارة وتوزيع المناصب بينهم. وكنتيجة لتغيير البيئة ظهرت بعض الانعكاسات النفسية برزت بشكل خلافات وخصومة شخصية لدى البعض تم التغلب عليها عند استقرار الأوضاع السكنية والانتاجية في القرية وكذلك استبعاد بعض الفلاحين غير المستوفين للشروط والذين كانوا أحد اسباب خلق هذه المشاكل وقد امتازت غالبية العوائل الفلاحية المصرية بتركيبها البسيط حيث تتألف من الزوج والزوجة والأولاد فقط ويبلغ مجموع سكان القرية ٤٢٨ شخصاً منهم ٩٥ رجلاً و٨٧ امرأة والباقي من الاطفال وخلال فترة تواجدهم في القرية تمت سبع حالات زواج بين افراد هذه العوائل أربع. منها كانت اضافة زوجة ثانية وثلاث حالات زواج بكر مع حالة زواج فتاة من القرية لشخص مصري يسكن محافظة البصرة.

الخدمات الاجتماعية المتوفرة في القرية

تشمل القرية ١٠٠ دار تحتوى الواحدة منها على ثلاث غرف وباقي المرافق الأخرى من حمام ومطبخ ومرافق صحية وحظيرة منزلية للحيوانات وتبلغ مساحة الدار ٤٠٠ م^2 مبنية بالطابوق والاسمنت ومجهزة بالماء والكهرباء ومؤثثة بالكامل. كما توجد في القرية مدرسة ابتدائية مختلطة صباحية وقد تم فتح صفوف مسائية في هذه المدرسة عند ملاحظة تسرب بعض الاطفال من المدرسة الصباحية للعمل مع ذويهم في الحقل أثناء النهار كما يوجد مسجد ومركز بريد وسوق عصري ومركز للإسعاف الفوري ومركز شرطة ومستوصف وإسالة ماء و١٢ داراً حديثة خصصت للقائمين على الاشراف في القرية وهناك خط باص مصلحة تعمل بين جسر ديالى والقرية.

كما يوجد في القرية مركز اجتماعي (بيت الثقافة الريفي العربي) ويتضمن منهاج هذا المركز مكافحة الأمية. تعليم فن الطبخ والتغذية وحياكة السجاد اليدوي ومحاضرات سياسية وثقافية وعرض الأفلام السينمائية وإقامة السفرات اضافة الى النشاطات الأخرى.

الحالة الصحية

عند قدوم العوائل قامت وزارة الصحة بإجراء مسح صحي عام وقد تبين نتيجة لذلك تشخيص ١٤٧ حالة اصابة بالبلهارزيا مع ستة اصابات بالتدرن الرئوي بالاضافة الى حالات مرضية بسيطة أخرى. ونتيجة للرعاية الصحية المتعلقة بإنشاء مستوصف عصري بكادر طبي متكامل من طبيب وممرضة نسائية ومضمد وبسبب هذه الرعاية الصحية لوحظ انخفاض نسبة الاصابات بالبلهارزيا إلى ٤٠ اصابة فقط كما ويلاحظ انخفاض نسبة المراجعين الفلاحين المصريين الى لمستوصف القرية حيث كانوا يمثلون ٤٠٪ من مجموع المراجعين للمستوصف الى ١٥٪ في الوقت الحاضر.

الحالة الاقتصادية

فقد انعكست هذه الرعاية والدعم المادي والفني المقدم الى العوائل الفلاحية بشكل ايجابي على الحالة الاقتصادية لهذه العوائل وقد تمثل ذلك بقيامها بتحويل مبالغ من المال بشكل مستمر الى ذويهم في القطر المصري عن طريق المصارف العراقية وامتلاك الكثير منهم لأجهزة التلفزيون والمبردات الهوائية والراديوات والمراوح بالاضافة الى المستوى المعاشي الجيد واقتناء الكثير منهم الى بقرة اضافية.

مستقبل التجربة

كما وضحنا في بداية التقرير أن الآثار السلبية التي رافقت التجربة الرائدة في

بدايتها ونتيجة لمعالجتها من قبل المسؤولين أولاً بأول ومواكبة المشرفين على إدارة القرية تم حصرها والقضاء عليها بشكل نهائي وعاد الانسجام التام بين أفراد العوائل وانصرافهم إلى العمل المنتج في حقولهم وتوجيه اهتمام اكبر في استغلال الرقعة الزراعية وتشجيع النشاطات الاقتصادية حيث يلاحظ الاستقرار والارتباط في الارض يزيد ويشتد يوماً بعد آخر مما يؤكد نجاح التجربة ورسوخها وتعميق مضامينها القومية والاجتماعية والاقتصادية وبذلك أصبحت هذه التجربة تجربة رائدة ليس في القطر العراقي فحسب بل على نطاق الوطن العربي الكبير وبهذا وُجد الدليل المادي الملموس على امكانية تكرار مثل هذه التجربة في مناطق اخرى من القطر العراقي وبقية اجزاء الوطن العربي الكبير حيث دحضت هذه التجربة كل الآراء الانعزالية والاقليمية وأثبتت ان ما حاول الاستعمار غرسه في نفوس أبناء الأمة العربية يمكن تجاوزه بعمل ثوري منظم وفترة زمنية قياسية.

حامد علي عباس
مهندس زراعي
قسم التعاون/ هيئة المشاريع

حبيب حسن جواد
مدقق حسابي
قسم التعاون/ هيئة المشاريع

فهرست